د. مشعل عبد العزيز الفلاحي

مشروع العمر

طبعة جديدة تأتي على تفاصيـل فكرتك
وتخلق منك روحاً ناهضة لعالم المشاريع



مشروع العمر

ⓒ مشعل عبد العزيز الفلاحي، ١٤٣٤ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الفلاحي، مشعل عبد العزيز
مشروع العمر./ مشعل عبد العزيز الفلاحي ـ جده، ١٤٣٤ هـ
١٢٨ ص؛ ١٤×٢١ سم
ردمك: ٥ ـ ٢١٩١ ـ ٠١ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨
١ ـ العمل التطوعي ٢ ـ الاعمال الخيرية أ.العنوان
ديوي: ٣٦١،٧ ١٤٣٤/٤٣٤٩
رقم الإيداع: ١٤٣٤/٤٣٤٩
ردمك: ٥ ـ ٢١٩١ ـ ٠١ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨

الطَّبعَة الخامِسَة
١٤٤٢هـ ـ ٢٠٢١م
(منقحة ومعدّلة)

تُطلب جميع كتبنا من:
دار القلم ـ دمشق هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣
الدار الشامية ـ بيروت هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١) ص.ب: ١١٣/٦٥٠١
Kalam-sy@hotmail.com

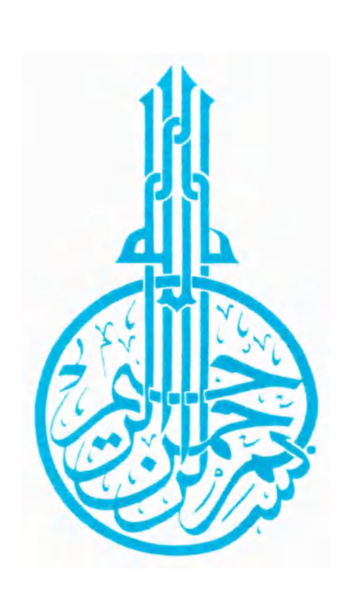
توزّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:
دار البشير ـ جدّة: ٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

مشروع العمر

إن ميلاد الإنسان الحقيقي
ليس تلك اللحظة التي يخرج
صارخاً من بطن أمه
وإنما يولد الإنسان في اللحظة
التي يعثر فيها على مشروعه

تأليف
د. مشعل بن عبدالعزيز الفلاحي





إهداء

- إلى المؤمنين بأن الحياة معركة نتائجها الكبرى بين يدي الله تعالى يوم القيامة.

- إلى كل الذين يتأهبون لصناعة المجد، ويطمحون لتلك الأماني الكبار ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤].

- إلى أولئك الذين يبحثون عن فكرة يصنعون بها تاريخهم، ويشيدون بها واقع أحلامهم، ويأتون منها على استنفار طاقاتهم المثيرة في الحياة.

- إلى كل المنتظرين!.

- إلى أصحاب الأمل والطموح والتحديات.

(مشروع العمر)

هو الفكرة التي ستبعث أحلامكم في الدنيا حية من جديد!.

إذا لم تكن (صدراً) بأول جملة... أو (فاعلاً) للمجد في إسهاب..

إياك أن تبقى (ضميراً غائباً).. أو (لا محل له من الإعراب).

* * *

إضاءة

كتب أحد العبّاد إلى الإمـــام مالك رحمه الله تعالى ينكر عليه اشـــتغاله بالعلم، ويدعوه إلى التفرغ للعبادة، فكتب إليه الإمام مالـــك رحمه الله تعالى قائلاً: (إن الله تعالى قسّم الأعمال كما قسّـــم الأرزاق، فرب رجل فُتح له في الصلاة ولم يفتـــح له في الصوم، وآخر فُتح له في الجهاد. ونشـــر العلم من أفضل أعمال البر، وقد رضيتُ بما فُتح لـــي، وما أظن ما أنا فيه دون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير).

* * *

المقدمة

(الأفكار والمفاهيم) أخطر ما يواجه الإنسان في حياته! وكم من فكرة أقامت صاحبها من فراش نومه في ساعة متأخرة! وكم من فكرة أقعدت كبيراً بعد رحلة من الفاعلية في واقعه! وهي صوت مالك بن نبي رحمه الله تعالى في حقبة من الزمن: المجتمعات لا تُحسب بكثرة أفرادها، وإنما تحسب بفاعلية هؤلاء الأفراد. اهـ.

والمشاريع الضخمة هي في الأصل لبنات! وإذا رأيتَ حراكاً في واقع فتلك راية مصلح كوّنت في النهاية مساحات الربيع التي تراها.

إن حاجة الأمة اليوم لكل فرد فيها أشد من كل حاجة، ولن تستطيع أن تأتي على شيء من آمالها وهمومها إلا من خلال هؤلاء الأفراد.

واشوقاه إلى كل فرد يوسع مساحة الربيع ويأتي على هموم أمته من خلال فكرة حية، ومشروع بهيج!.

قوموا يا رفاق رددوا في الآفاق:

تأخَّرْتُ أستبقي الحياةَ فلم أجدْ
لنفسي حياةً مثلَ أن أتقدَّما

فلســنا علــى الأعقــابِ تدمــى كلومُنا
ولكــن علــى أقدامنــا تقطــرُ الدِّمــا

لقد ظلت هذه الأمة إلــى عهد قريب هي روح الدنيا، وقلبها النابــض، وكانت أملاً لكل إنســان وما تزال. وإذا أرادت أن تســتبقي هذه المعاني، وتأتي على هذه الآمال، وتمد في مســاحة تأثيرهــا فعليها أن تفكّر في اســتثمار قدرات أبنائها مــن خلال الأفكار والمفاهيــم الفاعلة في واقعها.

ما أحوجنا اليوم إلى اســتلهام ذكريات المجد، وقراءة فتوح الناهضين!.

قم يا صاحبي من ســرير نومك، وانهض من مســاحة واقعك، واســتقبل فجر الأمل، وصافح الفــأل، واكتب لنا قصة المجد.. وردد أماني الخليفة عمر رضي الله تعالى عنه وأرضاه حين قال لبعــض الرفاق: تمنوا! فــكل أفاض في أمانيه، وحين انتهوا ولم يشــفوا له غليلاً قال: لكنني أتمنى بيتاً مملوءاً رجالاً كأبي عبيدة!..

واشــوقاه للكبار! واشــوقاه لصناع التاريخ! واشــوقاه لحمّال المصابيح في غسق الدجى!:

واصنــعْ لنفسِــكَ منــزلاً تَعْلُــو بــه
أو مــتْ كريمــاً تحتَ ظــلِّ القَسْــطَلِ

فالمــوتُ لا يُنجيــك مــن آفاتِــه
حــصنٌ ولــو شــيَّـدْتَـه بــالـجَـنْـدَلِ

مــوتُ الفتــى فــي عِــزَّةٍ خيــرٌ لــه
مــن أن يمــوتَ أســيرَ طَــرْفٍ أكْحَلِ

إن كنــتَ فــي عــددِ العبيــدِ فَهِمَّتــي
فــوقَ الثُرَيَّــا والسِّــماك الأعْــزَلِ

أو أنكــرتْ فرســانُ عَبْــسٍ نِسْــبَتي
فسِــنانُ رُمحــي والحســامُ يُقِــرُّ لِــي

لا تَـسْـقِـنـي مــاءَ الــحــيــاةِ بِــذِلَّــةٍ
بــلْ فاسْــقِني بالعــزِّ كأسَ الحَنْظَــلِ

من أجل هــذه المعاني كلهــا جاءت فكرة (**مشــروع العمر**) الفكرة الحية التي ســتأتي على جزء كبير من آمال هذه الأمة، وهي نبت ذلك الســقاء في كتابي الأول: (**ابدأ كتابة حياتك**) والتجربة التطبيقية الميدانية لذلك التنظير!.

والأمل كبير أن يتداعى كبار الأمة ومؤسساتها الفاعلة، وكل طاقاتها إلى قراءة هذه الفكــرة، وصناعة أحلامها في

الواقـــع، والتعاضد من أجـــل الإغراء بها، وحين تســـتوي تطبيقاً ســـيكون للأمة بإذن الله تعالى شـــأن كبير مثير، ولو يبلغ مدى صوتي أذان العالمين لفعلـــتُ لعلهم يبلغهم ما يعجز عن وفائه الحرف.

الشـــكر لله تعالى الذي يهـــب لعبيده ما يشـــاء تفضُّلاً وإحســـاناً، ثم لأبي ســـعود شـــاعر الحرف والمعنى، وأبي عبد الرحمن يحيـــى الحادثي؛ على جهدهمـــا في مراجعته وتصحيحه، ولكل الشركاء في صناعة الفكرة، ومد أثرها في الواقع، داعياً الله تعالى أن يمدَّ فـــي أثرها، ويُحيي بها آمالَ أمة في واقعها، ويرزقها القبول، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

د. مشعل بن عبد العزيز الفلاحي
المملكة العربية السعودية، محافظة القنفذة، حلي
Mashal001@hotmail.com

رسالة

لا تحدّثني عــن عمرك، وظروفــك، وبيئتك، حدّثني عن أحلامك وأمانيك وتحديات مستقبلك الكبير.

منجم الذهب يــا صاحبي، والحديقــة الغنّاء، والبُقعــة المثيرة للعجب هي نفســك حين تمنحها الثقة، وتستقبل بها أحداث الحياة من جديد.

* * *

البدايـات

كانت لحظة مثيرة تلك التي تمَّ فيها تكريم أبينا آدم في مشهد بهيج من حضور الملائكة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] واللحظات إنما تكتسب مكانتها من الأحداث التي تجري فيها.

لقد خلق الله تعالى الإنسان وأودع فيه من القدرات والإمكانات والقوى الكامنة ما كان بها صالحاً لعمارة الأرض، وتحقيق الخلافة الكبرى فيها. ومن اللحظة التي أُهْبِطَ فيها آدم إلى يومنا هذا ظلت الدنيا وما تزال بهيجة بالإنسان، حافلة به، مسرورة بلحظاته، ومَنْ مدَّ بَصَرَه فيمن حوله أدرك هذا المعنى بجلاء!.

ما أبهج المساحات التي يُتحدث فيها إلى اختيار الله تعالى، إلى خَلْقه وإبداعه، إلى نفخة روحه تعالى قبل أن يكون كومة من طين: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩]، إلى الذي سخّر الله تعالى له كلَّ شيء: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣].

وكم من ناهض من فراش نومه أوقَدَ سراجَ همته فابتدأ قصة مشروعه الكبير، وقام يردد في العالمين:

فـإمَّـا حـيـاةٌ تَـسُـرُّ الـصَّـديـقَ
وإمَّـا مـمـاتٌ يـغـيـظُ الـعِـدا

وأرجو أن نكون وإياك من أولئك الناهضين..

* * *

لدي حُلم ١

واشوقاه إلى حلم يدفع بصاحبه إلى أماني الكبار! واشوقاه إلى رحلة يجد فيها الإنسان طموحاته، ويستنفر فيها طاقاته وإمكاناته وقدراته! أحلامك التي تُفكّر فيها اليوم هي واقعك الذي تعيشه في الغد، ومن لا حلم له في واقع اليوم لا مشروع له في أحداث الغد.

كل هذه المشاريع الكبرى التي تراها ماثلةً في عالم الواقع كانت بالأمس أحلاماً في عقول أصحابها، وما زالت أماني تتردد في أفكارهم ومشاعرهم حتى كوّنت مباهج النهايات.

ليكن لديك حلم يطوّح بأفكارك ومشاعرك إلى الغد! إلى هناك، إلى الغيب المنتظر والمسافات المجهولة، إلى لحظات الفوز والغلبة والانتصار! كن كأولئك الذين رأوا واقعهم قبل أن يصلوا إليه بعشرات السنين، وما زالوا في الطريق إليه حتى كانت لحظات اللقاء.

اخرج من ضيق اللحظة، وأسر الواقع، وهموم المحيط؛ إلى ساحات حلمك ومساحات الربيع في حياتك.

دعك من كلِّ ما يُقال حولك، وما يُثار في طريقك، وما تتناقله مجالس المحبطين؛ وانهض إلى أحلامك الكبار.

أنا هنا لا أتكلم عــن فكرة تود الوصول إليها، كلا! أتكلم عــن حُلُــم يقتات مــن مشــاعرك، ويعيش في وجدانك، ويأخذ كل لحظة من تفكيرك.

احلــم! واجعل لنا مــن حلمك قصة تُــروى على الأجيال! احلم لتقتات الأجيال القادمة من أملك.

احلــم حتى لو كنتَ فــي بيت مســتأجر، أو عائلة فقيــرة، أو تعيش ظروفاً بائســة، احلم فســيأتي الربيع وتعود الأرض خضراء من جديد.

احلم أيها القــارئ فالتاجر لم يولــد يوماً وفي فمه ملعقة مــن ذهب! والعالم ولد وهو لا يعرف شــيئاً من حروف الهجاء.

قم يا صاحبــي إلى بيتك وعلّق علــى جداره قصة حلمــك، واكتــب فيه رؤيتــك، وســجّل فــي زواياه مشــروعك الكبير، وابدأ رحلة الأشواق إليه، وقل لكل من وقف في طريقك أو شكك في أحلامك، أو استطال مســافة ذلك الأمل: (**لدي حُلُم**)، وستســقط أمام هذا المعنى كلُّ عقبات الطريق.

* * *

لدي حُلم ٢

احلم يا صاحبي ففضـــاء الحريات أدعى لأن تعيش حلمَك كما تشـــاء! قم إلى ســـاحات الفضـــاء، وتنفّس أملك، وابدأ رحلة أشواقك في الأرض، ودعك من كل العراقيل التي يتحدَّثون عنها فإنما هي أوهام.

لا تبقَ جالســـاً، منتظراً، قلقاً؛ فأنت أبهج مشـــاهد الكون والحياة.. لا تعتـــرف إلا بالمتفائلين! اخرج إلى ساحات الفضاء وردد كما ردد الأُوَل:

سَـــأعيشُ رَغْـــمَ الــدَّاءِ والأَعــداءِ
كالنَّسْـــرِ فَـوقَ القِمَّـــةِ الشَّـــمَّاءِ
أرْنُو إلى الشَّـــمْسِ المُضِيئَـــةِ هازِئاً
بالسُّـحْـــبِ والأَمطـارِ والأَنـــواءِ
لا أرْمــقُ الظِّــلَّ الكئيـــبَ ولا أرَى
مَـــا فـــي قَـــرارِ الهُــوَّةِ السَّـــوداءِ
وأَســـيرُ في دُنيـــا المَشَـــاعرِ حالِماً
غَــرِداً وتلــكَ سَـــعادةُ الشـــعَراءِ

(لدي حُلُم) هـــو الذي أخرج ربيعـــة بن كعب في ساعة متأخرة من الليل ليأتي للنبي ﷺ بِوَضوئه، وحين

قال له ﷺ: «**سـل يا ربيعة**» قام الحلم يجيب: (أسألك مرافقتك في الجنة يا رسول الله).

(**لدي حلم**) هـو ذاته الذي كان يعيش في مشـاعر تلك **الصالحة التي أصيبت بالصرع** وتسقط متكشّفة في عـرض الطريق، فتأتي لرسـول الله ﷺ قائلـة: (ادع الله يا رسول الله أن يشـفيني) فيقول لها: «**إن شئتِ دعوتُ الله تعالى لك، وإن صبرت فلك الجنة**» فيقوم الحلم من جديد قائلاً: (بل أصبر يا رسول الله) وتعيش على شقاء الدنيا ونوبات الصرع تخنقها في كل حين، ومشـاعرها ترصد لحظات الحلم: «**إن صبرت فلك الجنة**».

(**لدي حُلُم**) هـو الذي كوّن **لهارون الرشـيد** واقعه الـذي يخاطب فيـه يوماً سـحابة في عرض السـماء: (أمطري حيث شئت فسيأتينا خراجك).

(**لدي حلم**) هـو الذي كان يخامـر عقل **هند بنت عتبـة** زوجة أبي سـفيان حين قال لها بعض متفرسـي العرب: (إني أتوسّـم في طفلك أن يسود قومَه) فقالت: (ثَكِلْتُه إن لم يسد إلا قومه).

(**لدي حُلُم**) هو الذي جعل **أبا بكر** رضي الله عنه قصة تُروى في العمل والبنـاء والتضحيات؛ حتى إنـه ليُدْعى يوم القيامة من أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيِّها شاء.

(**لدي حلم**) هو الذي حفــز **بلالاً** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ حتى إنه لا يتوضأ وضوءاً في أي ساعة من ليل أو نهار حتى يصلي بذلك الوضوء ركعتين.

(**لدي حلم**) هو الــذي طوّح بهمة **ســعد بن معاذ** حتى اهتزَّ لموته عرشُ الرحمن ولــم يتجاوز عمره في الإسلام سبع سنوات فقط.

(**لدي حُلُم**) ليســت أمنيــة مجــردة! إذا أردت أن تصحب أصحابها وتأتي في فلك آمالها فعليك أن تخلو بنفسك، وتفكّر في مشروعك، وتترك لخيالك يسبح في الفضاء كيف شاء!..

(**لدي حُلُم**) تحتاج منك تفرُّغاً من شواغل نفسك، وتفكيراً طويلاً في التاريخ الذي ســتبدأ خطواته الأولى في واقعك.

(**لــدي حُلُم**) تحتاج منــك إلى قــرار تتخذه مهما كانت كلفته، ومهما كان طول أمده ومسافته.

(**لدي حُلُم**) ميــلادك الجديــد! وتاريخ أحلامك! وأيام الربيع في حياتك القادمة.

* * *

لدي حُلم ٣

من حقك أن تحلم، ومن حقك أن تبوح بأشجانك، ومن حقك أن تتنفّس في الدنيا كلها كما تشاء!.

(**لــدي حُلُم**) تحتــاج منك أن تخطــو في الأرض وأنت مشبع بالثقة، مليء بالأحلام، قادر على بذل كل ما يمكن للوصول إلى تلك الأحلام.

(**لدي حُلُم**) حق مشاع لكل إنسان يتنفّس هواء هذه الحياة، للرجل والمرأة، والصغيــر والكبير، والموظف والمتفرغ، للمسافر والمقيم، لا فرق في الأحلام بالذات بين كل حي.

(**لدي حُلُم**) يمكن أن تثيره فــي بيتك من خلال تربية ولدك وتأتي منه على أحلام مشــروعك الكبير في الأرض «**أو ولــد صالح يدعو لــه**»، أو من خلال عملك ووظيفتك، أو من خــلال فكرتك التي تعيش من أجلها، ومشــروعك الكبير الذي تتنفّس أحلامك كلها من أجله.

يا صاحبــي! مــا دورك فــي أمتك؟ مــاذا قدمتَ لمجتمعك، وأمتك، ودينك؟ قم يا صاحبي! فمن عاش

لنفسه عاش صغيراً ومات يوم يموت وهو صغير، ومن عاش لغيره عاش كبيراً ومات يوم يموت وهو كبير.

إلى متى ستظل قاعداً دون حراك؟! إلى متى وأنت تعيش لنفسك؟! إلى متى وأنت لم تغرد بعد بأحلام أمتك وأحاديث أشواقك؟!.

(**لدي حُلُم**) يصنعها التاجر بماله، والمعلم برسالته، والتقني من خلال شاشته، والشاعر والأديب من خلال حرفه، وإمام المسجد من فناء مسجده وجامعه، والمربي وحافظ القرآن من خلال حلقته ومشروعه.

احلم يا صاحبي حتى لو كنت عاملاً مغترباً فالحياة أبهج من ظروفنا العارضة، وأمتك أحوج ما تكون لفنك ومهارتك.

احلم أيّاً كان موقعك، ونوع وظيفتك، وتاريخ ولادتك، احلم فالله تعالى خلقنا أحراراً ومن الغبن أن نموت دون أن نأتي على هذه الأحلام.

(**لدي حُلُم**) رددها الآن على لسانك، واهتف بها في مشاعرك، وحدّث بها من حولك، وابدأ بها قصة مشروعك الكبير في الحياة، وغداً تروي لنا قصتك، ويبعث لنا التاريخ أحداث روايتك.

وأنا (**لدي حُلُم**)! هل تدري ما هــو؟: حين تعتنق أنت فكرة (**مشــروع العمر**) تتوسّع مســاحة مشروعي، وتنداح قصة أحلامي في الواقع من جديد.

* * *

رسالة

إن الهداية مراتب، والصــلاح درجات، وأنا لا أتحدّث هنا إلى الناســك العابد الخائف من ثوران الشــهوات والشــبهات في عرض الطريــق، فذاك وشأنه..

وإنما أتحــدّث عن صُنّــاع الحيــاة أصحاب المشاريع، وروّاد الإصلاح، وحاملي رايات الجهاد.

أتحدّث إلــى الذيــن ولدوا علــى الأرض لا ليعيشــوا لذواتهم معزولين عن واقــع البناء، وإنما ولدوا ليثيروا تحديات الواقع، ويفسحوا في معاني الأمل، ويوسعوا في مســاحات الرقع الخضراء في الصحاري القاحلة.

* * *

أشواق الكبار

الأشـــواق فن! تحتاج إلى قلـــوب تركض إليها، ومشاعر تهتف بها، وأحداث تدفع بصاحبها لعناقها.

وإذا أردت أن تقـــرأ فنون هـــذه القصة، وأحداث هذه الرواية، وفصول هـــذا المعنى الكبير؛ فاقرأ قصة أبـــي الأنبياء **إبراهيـــم** عليه السلام وهو يتوق ويشـــتاق إلى تخليد ذكره، وبقـــاء أثره، وامتـــداد حياته من خلال ذلـــك الشـــوق: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤].

كان يعيش أمنية ألا يمر في الأرض مرور العابرين. وقـــرر أن يعيش حياتيـــن: الحيـــاة الأولى تلـــك التي يخوضها بجسده، والأخرى تلك التي يثيرها بمشروعه.. وظل يهتف بأمنيتـــه حتـــى كان له مـــا أراد.. وكذلك الكبار!..

ما أكثر ما تنداح الأشواق في قلوب الكبار! وقَلَّ أن تجـــد مثيراً فـــي واقعـــه إلا وهو يـــردد تلـــك الأمنية: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]..

هذه أشــواق القوم! وتلك أمانيهم! ولن تجد كبيراً إلا وهو يتــوق إلى المعالــي، ويزاحــم على صفوف المبدعين!.

جاء نبي الله تعالى **سليمان** عليه السلام ليضرب على كثير من الأماني والأشــواق صفحــاً، ويذرهــا صفصفاً، ويتوق ويشــتاق لشــيء لم يتكرر، ولــم يحدث في الأرض بعد، ولا يمكن أن يتكــرر في الواقع: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [صٓ: ٣٥].

والكبار لا يحــدُّ أمانيهم شــيء، وإذا فقه الداعي معنــى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ كان من حقه أن يســبح في مشاعره كيف شاء!.

وعلمنا نبيُّنا **محمــد** ﷺ أن المعالي أكبر من مجرد ســؤال، والأشــواق المثيرة لا تحدها الأماني الضئيلة! وقف واصفاً الجنــة، فأبلغنا أنها ليســت درجة واحدة تجمع العالمين فــي المكان ذاته رغم فــوارق العمل، كلا! وإنما هي درجات: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ**».

وحين أبلغنا هذه الحقيقة الكبرى عاد يســتنهض الهمــم ويســتنفر الطاقــات، ويطلق العنــان لطموح

العاملين قائلاً: «**فإذا سألْتُم اللهَ فاسْـألوه الفردوسَ فإنَّهُ أوسـطُ الجنَّةِ وأعلى الجنَّةِ؛ أُراه فوقه عرشُ الرحمن، ومنه تَفَجَّر أنهارُ الجنَّة**».

كأنه يقـول: اقفزوا بهممكم، وطيروا بأشـواقكم، وارحلوا بقلوبكم، وتعلقوا بالفردوس الأعلى؛ فدونكم منازل الكبار!.

وما زالت الأماني والأشواق برجل حتى جعلته من عداد المنفقين وهو لا يملك شـيئاً مـن المال: «**ورجلٌ آتاه اللهُ علماً، ولم يُؤتِهِ مالاً؛ فهو يقول: لو أنَّ اللهَ آتاني مثل ما أُوتيَ فلانٌ؛ لفعلتُ مثلَ ما يفعلُ فلانٌ، فهما في الأجْرِ سواءٌ**».

وكل إنسـان يعيـش في الدنيـا على قدر أشـواقه وأمانيه، وغداً تبين المسافات.

* * *

المشاريع والذكريات

كم من ذكرى ما زالت تمنح أصحابها الحياة! وكم من مقبور هـذه اللحظة يشـارك في البنـاء، ويمد في ساحات دينه، ويأتي على هموم أمته!..

ما رأيتُ مثل المشـاريع تخلِّد ذكريات أصحابها، وتبقيهم أحيـاء حتى بعد رحليهم مـن الأرض: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس: ١٢].

وقد قال **ابن الجوزي** يحكي قصة الغابرين: فمنهم من يُذكر بالخير مدة مديدة ثم يُنسى، ومنهم من يُذكر مئة سـنة ثم يخفى ذكره وقبـره، ومنهم أعـلام يبقى ذكرهم أبداً. اهـ.

وكم من مقبور نُسِـيَ ذكره عند آخر تـراب في يد قابـره! وإذا أردتَ قراءة قصـص هذه الذكريـات وأثر المشاريع فيها فافتح كتاباً، أو اسمع إذاعة، أو شاهد قناة، أو اسمع أحاديث الراوين لترى الحقيقة أبين ما تكون.

يحكي (**شـفيق جبر**) قصـةً وقعتْ لـه، لها علاقة بالمشروع، يقول فيها: كنتُ في بلد، وشاركتُ ذات مرة

في جنازة، وحين دخلتُ تلك المقبرة وجدتُ على كلِّ قبر لوحة تُعـرّف بعمر الراحل، فيكتـب تاريخ ولادته وتاريخ وفاته، إلا أن ثمة مفارقة عجيبة ومسألة غامضة فيما بين تاريخ الميلاد وتاريخ الوفاة؛ فعلى القبر الأول ولد عام (١٩٥٠م) وتوفي عام (١٩٩٠م) وعمره عام واحد، وآخر ولـد في عـام (١٩١٠م) وتوفي في عـام (١٩٨٠م) وعمره عشـرون عاماً، فظننتُ أنَّ ثمـة خطأ في تدوين تاريخ عمر كل إنسـان، فلمَّا خرجتُ سألتُ، فقيل لي: إننا لا نحسـب من عمر الإنسـان إلَّا الـذي قضاه في مشروع، وما عدا ذلك هباء لا قيمة له.. فرجع إلى نفسه لائماً وعاتباً: وأنـا إذا مت عندكم فاكتبـوا على قبري: (شفيق جبر من بطن أمه إلى عالم القبر).

قال الطنطاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ معلقاً على هذا المعنى: (الحياة ليست بطول السنين، وإنما بعرض الأحداث).

وكم من حي يحتاج إلى من يصيح في أذنيه:

فارْفَعْ لِنَفْسِـكَ بعدَ مَوْتِـك ذِكْرَها
فـالـذِّكْـرُ لـلإنْـسَـانِ عُـمْـرٌ ثَاني

* * *

ما المشروع؟[1]

المشـــروع العمري هو مشـــروع تتضـــح في ذهن صاحبـــه أهدافه، وتســـتولي فكرته على فكـــره وعقله، ويبذل له جميع طاقاته..

هذا هو مشـــروع العمر الذي نصبـــتُ لك رايته في هذا الكتاب، وفرضتُ لك من سنام وقتي أجلّه وأثمنه، وكتبتُ إليك به وروحي تنزع إلـــى حروفه، وما حرف متين في حياة صاحبه أمثل من فكرة تأتي على قدرات إنسان وطاقاته وإمكاناته في الواقع يوما ما!.

مشـــروع العمر تخصُّصٌ، ومجال تحبه، وتعشـــقه، وتهفو إليه بمشـــاعرك وقلبك، وتجـــد فيه رواء روحك ووجدانك.

هو يا صاحبي الهدف الكبير الذي نصبته لنفســـك، وتوجهت إليه بقلبك، وســـعيت له بـــكل ما تملك من

---

(١) نشوء الفكرة كان قبل سنوات طويلة إثر كلمة سمعتها من فضيلة الدكتور عبد الله الشهراني في لقاء جمعني به، قلت ذلك عرفاناً لصاحب الفضل الأول، وحتـــى تعلم أثر الكلمـــة العملية التي تلبس ثوب الصدق ماذا تترك في قلوب الآخرين.

وقت وجهد ومال ليكون الذكرى التي تقصُّها الأجيال، والحياة التي تثيرها المشاريع فيما بعد.

مشــروع العمر رســالتك في الحياة، ورؤيتك التي كتبتها لنفســك، وتودُّ أن تراهــا واقعاً بعد ســنين من عمرك!.

مشروع العمر فكرة تلامس مشاعرك، وتهتف بقلبك، وتجد روحك فيها كأنك تولد عند ذكرها من جديد.

مشروع العمر عمل يلد أول ما يلد فكرة في ذهنك، ثم ينمو مع الأيام كما ينمو الجنين، وما يزال يكبر حتى يكون في النهاية كلَّ شــيء.. يلد ـ كما قلت لك ـ فكرة ثم تتعاهدها بأحلامك، وتفكيرك، وتشغل بها نفسك كل يوم، حتى تراها في كل موقف، وتتجسدها في كل لقاء.

مشــروع العمر قد يكون عملاً علميّاً، أو تربويّاً، أو اجتماعيّــاً، أو تقنيّــاً، أو أدبيّاً، وقد يكــون ما يكون... المهم أنه في النهاية عمل ورسالة يستطيع في النهاية أن يقف على قدميه، ويدعو الناس إلى رؤيته ومشــاهدته، ويبقى شاهداً لك في الدارين.

* * *

دعـوة

يستطيع كثير من أفراد هذه الأمة أن يتخيَّل أن حياته عبارة عن مشروع أنشأته أمة الإسلام واستثمرت فيه، ثم أوكلته إليه ليديرَه ويتابعَه، ويبذل فيه من ماله ووقته وجهده، وقد قبل هذه الوكالة، وشرع يحاول في جعل ذلك المشروع ناجحاً ومثمراً، بل يحاول أن يجعل منه مشروعاً نموذجيّاً بين المشروعات المناظرة.

(د. بكار)

* * *

تأصيل المشروع

القارئ لكتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ يجد دعوة ظاهرة لفكرة المشروع.

ففي قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: ١٤٨] دعوة لكل إنسان أن يختار ما يلائمه من المشاريع والتخصصات، وفيها إشارة إلى أن الناس قدرات مختلفة ومتباينة؛ فلا يصلح لها مجال أو تخصص أو مشروع واحد، وعلى كل إنسان أن يشارك في العمل الذي يناسب هذه القدرات وتلك الإمكانات.

وفي حديث النبي ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلَّا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**» دعوة لكل فرد أن يستثمر طاقاته، ويوسع أثره، ويبني مشروعه الذي يبقى حيّاً ماثلاً بعد رحيله.

بل في الحديث إغراء مثير أن يعيش الإنسان حياتين، وألا يكون من أولئك الذين تنقطع أعمالهم بعد رحيلهم من الأرض؛ كأنه ﷺ يقول: الأصل في الأعمال أنها تنقطع، ولا تدوم، وإذا أراد الإنسان أن يبقي أثره، ويحيي ذكره، ويبقى حيّاً في العالمين فلينظر

إلى مشـــروع يعيش مــن أجله، ويســتنفر فيــه طاقاته وإمكاناته حتى إذا ما رحل بقي أثره وفكرته ومشروعه يذكّر به، ويهيل على قبره بالذكريات.

وأبان ﷺ أن منازل الناس يوم القيامة ومداخلهم في الجنة من أبــواب الأعمال التي تميــزوا فيها ومنحوها أوقاتهم، وأثاروها بالبنـــاء والتضحيات، فقال ﷺ: «**من أنفــقَ زوجينِ في ســبيل الله، نُودِيَ من أبــوابِ الجنَّةِ: يا عبدَ الله هذا خيرٌ، فمن كان من أهلِ الصَّلاةِ دُعي من باب الصَّلاة، ومن كان من أهلِ الجهــاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهلِ الصيام دُعي من باب الرَّيَّان، ومن كان من أهلِ الصَّدقة دُعي من باب الصَّدقةِ**».

وكان **أبو بكر** رضي الله عنه مثالاً يصلــح لخليط من الأعمال والمشاريع، ويستطيع أن يصنع فيها تميُّزاً ظاهراً بيّناً، حتى قال رضي الله عنه: بأبي أنت وأمِّي يا رســولَ الله، ما على مَنْ دُعي من تلك الأبــواب من ضرورةٍ، فهل يُدعــى أحدٌ من تلك الأبوابِ كلِّها، قال ﷺ: «**نعم، وأرجو أن تكونَ منهم**».

وأرشد ﷺ أن كلَّ إنسان خُلق لتوجه معين، ومجال محدد، فقال ﷺ: «**اعملوا، فكلٌّ ميسَّر لما خُلق له**».

ووجَّه ﷺ بــأنَّ من كمال عقــل الإنســان، وفقهه

بنفسه، وإدراكه لإمكاناته: أن يحدد المشروع المناسب له، وألا يكلف نفسه فوق طاقته، فقال ﷺ: «**اكلفوا من العمل ما تطيقون**».

ومن أخذ شيئاً لا يناسبه، أو حمّل نفسه مجالاً لا يطيقه وجد مضضاً من العمل، وضاقت عليه نفسه، ولم يجد استمتاعاً بوقته، وكان ذلك الخيار جالباً للضيق، والعسر، والمشقة، وأكلف نفسه في النهاية ما لا يطيق.

إن هذه المعاني في الوحي كافية جدّاً للولع بالفكرة، والحدب عليها، والوصول إليها بكل ممكن، ومن قرأ سير صحابة رسول الله ﷺ وجد نماذج كثيرة ومثيرة آمنت بالفكرة، وسعت إليها بكل ما تملك، وبذلت في سبيل الوصول إليها كلَّ شيء، وباتت في النهاية واقعاً يذكّر بها، ويعيد وهج ذكرياتها في كل زمان ومكان.

* * *

إضاءة:

أسوأ فكرة تواجهنا تلك التي تحدِّثنا من الداخل أننا أقل من تلك الأماني التي نريدها في مستقبل الأيام.

* * *

لماذا المشاريع؟

لعل من الأسئلة التي تدور في ذهن القارئ لهذا الكتاب: لماذا المشاريع بالذات؟ لماذا هذا الحديث الطويل عنها مع أنه يمكن للإنسان أن يقدم عملاً لا تنطبق عليه صفة المشروع لكنه عملٌ مباركٌ نافعٌ يخدم به نفسه، ويدعم به رسالة مجتمعه وأمته؟.

ويمكن أن يُجاب على هذا السؤال من خلال الآتي:

أولاً: المشروع يختلف عن أي عمل آخر؛ لأن كل عمل تلبّس باسم المشروع صار إلى الدوام أقرب منه إلى الزوال، فغالب الأعمال التي يقدِّمها الإنسان في حياته تنتهي بانتهاء اللحظة التي يفارقها فيها، وفي انتهاء العمل توقُّف لرحلة الأجر، وكل عاقل يهفو لاستمرار أجره، وينتظر كل لحظة تزيد فيها حسناته، وحاجتنا إلى حسنات دائمة وأجور مستمرة أبلغ من كل حاجة، وهذا كله مقرون برحلة الإنسان في مشروع، وقد تتقاصر أو تتلاشى في بقية الأعمال مهما كانت زاكية وكبيرة.

إن المشروع يحتاج إلى جهد وعناء وبذل وتضحية، وفي صحيح الوحي: (**أجرك على قدر مشقتك**)، والفرق

بين العمل العابر والمشروع فرق هائل، فحاجة المشروع إلى التضحيات أكبر مـن حاجة العمل، والعوائد منه في النهاية أكبر بكثير من الأعمال العابرة في حياة إنسان.

ثانياً: أثر المشاريع أكبر، ودائرة تأثيرها أوسع، وتحتاج في المقابل إلى جهود أكبر من تلك التي تُصرف لصالح العمل، وحاجة الأمة اليوم ملحَّة إلى هذا السهم من الإصلاح، وهذا الدور المثير من المسؤولية، وكلما عظم المشروع زادت مساحة الأثر في الواقع.

إن الأمة اليوم أحوج ما تكون إلى رجال يمثلونها، ويقفون على ثغراتها، ويجودون بكلٍّ ما يملكون لسد حاجتها، وحين يفقه أفراد الأمة أدوارهم، وحاجة الأمة الملحَّة إليهم؛ لن يجدوا أكثر أثراً من تزاحمهم على إقامة مشاريع تدفع بعجلة أمتهم إلى الصفوف الأول، بخلاف العمل الذي يستطيع أن يقوم به أي فرد، ويشارك به في البناء على قدر سعته وطاقته وقدرته.

ثالثاً: العمل في مشروع استفزاز لطاقات الإنسان وقدراته، وبعث لقواه وإمكاناته، وتحدٍّ كبير يخوضه في مستقبل حياته! بخلاف العمل الذي يقدم بأقل ما يمكن من جهد.

المشاريع تظل قائمة في وجه صاحبها، وتحتاج إلى عمل مستمر ودأب كبير في الوصول بها إلى نهاياته.

إن العمل مهما كان كبيــراً لا يمثل اختبــاراً دقيقاً لقدرات الإنســان وطاقاتــه، ولا يســتطيع أن يقف فيه الإنســان فــي النهاية علــى تقييــم لتلــك الإمكانات والقدرات، ويظل الســهم الــذي يدفع فيــه ـ ولو كان ضعيفاً ـ كافياً على الأقل في ذهن صاحبه.

بينما المشــروع يمثّل اختباراً قاسياً لتلك القدرات، ويظل ملحّاً على النهوض والوقوف بقوة، أو الســقوط والإخفاق بالكلية.

المشروع يستنفر كل طاقات الإنســان، وإمكاناته، وقدراته، ويســتحوذ على وقته وجهده ومشــاعره، لأنه يمثــل حبّاً لــدى صاحبه، وينطلــق فيه رغبة وشــوقاً، بخلاف العمل الــذي يُدفع إليه رغبة فــي أجر، أو حبّاً للمشــاركة في البناء، فلا يجد فيه من الشــوق والحب والإجلال ما يجد في أجواء المشروع.

إن الإنســان يقدم عملاً، ويشعر فيه بالمشاركة الوجدانية لأمته، لكنه يقدمه وهو يشــعر بالتعب، والجهــد المبذول، والطاقات المهدرة، وغالبــاً ما يجد مضَّ الألــم، وتثور منه الشكوى نتيجة ما يلقاه من عوارض العمل، بخلاف المشروع فإنه يقدمه وهو يشــعر باللــذة والراحة والطمأنينــة، والرواء النفسي الذي يخامره في كل لحظة من لحظات مشروعه.

رابعاً: العمل لا يتشوّف معه صاحبه لنتائج كبيرة، ونجاحات ضخمة، ومستقبل عريض يكفيه منه لحظات الأجر العارضة في الطريق، بخلاف المشروع الذي يعيش فيه صاحبه وهو يبني تاريخاً، ويشيّد واقعاً محسوساً، ويعيش في كلِّ لحظة من مشروعه وهو يحاول أن يجسّد هذه الأماني التي يعيشها إلى واقع تجري عليه آثاره في الدارين.

خامساً: العمل لا يمكّن الإنسان من استشراف المستقبل، يكفيه اللحظات العابرة، والفرص السانحة، بخلاف المشروع فإنه يمكن صاحبه من العيش مرتين: **الأولى:** تلك التي يخوضها بجسده، **والثانية:** تلك التي يعيشها بمشروعه بعد رحيله.

إن صاحب المشروع يعيش مشروعه وهو يتخيّل الحياة الأخرى التي يظل فيها حيّاً رغم الرحيل، ومؤثِّراً رغم البعد، ولا يتوقف تأثيره لمرض أو عارض أو موت، بل يظل أثره سائراً مثيراً في واقع الأرض.

* * *

إضاءة:

كثيرة هي الأبواب التي تحتاج إدمان قرع.

* * *

يمكن أن يعمل الناس

(٨) ساعات يوميّاً من أجل الراتب.

(١٠) ساعات يوميّاً من أجل المدير الجيد.

(٢٤) ساعة من أجل فكرة يؤمنون بها.

(جورج برنارد)

* * *



أصحاب المشاريع ١

تظل الحاجـــة إلى القدوة كبيرة وملحَّة، ويشـــتاق الناس للتجربة العملية التطبيقية أشـــد من اشـــتياقهم للكلمـــة حتـــى وإن كانـــت تطـــرب القلـــب وتلهب المشاعر..

إن أصحاب المشـــاريع في الأمة عـــدد كبير، كتبوا مشـــاريعهم تجربة تطبيقية ونجاحاً عمليّـــاً، ولم يتركوا للكلام مســـاحة بقدر ما تركوا العمل يتحدث عن نفسه واقعاً تشـــاهده الأجيال حيّـــاً قبل أن تقـــرأه حبراً على صفحات الكتب.

وسأجمع لك في هذه المساحة جملة من أصحاب المشـــاريع ممّن صنعوا تاريخاً، وتركوا أثراً، وبنوا لهم من الذكريات ما تأتي على آمالهم بعد سنين:

- **الرسل عليهم صلوات الله تعالى وسلامه، من زمن نوح إلى زمن نبينا محمد ﷺ:**

كلهم جاؤوا بأعظم مشـــروع إلى الدنيا «**مشـــروع الدعوة إلـــى الله تعالى**»، وظلوا مســـتميتين في تحقيق مشـــاريعهم، جادين في بلوغها إلى غاياتها، وقد عاشوا

لها كلَّ لحظة من حياتهم، وما من صاحب مشروع اليوم إلى قيام الساعة إلَّا وهو يشرب من معينهم، ويسير في ركابهم.

• **أبي بن كعب الأنصاري** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

عاش لمشروعه «**حفظ وضبط كتاب الله تعالى**»، ولم يزل عاكفاً على مشروعه مهتمّاً به غارقاً في تفاصيله حتى وصل فيه للدرجة التي قال النبي ﷺ له: «**إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن**» قال أبيٌّ: آللهُ سماني لك؟ قال: «**نعم**» قال: وذكرت عند ربِّ العالمين؟ قال: «**نعم**» فذرفت عيناه.

وهو ممن جمع القرآن الكريم في زمن النبي ﷺ حتى ضرب النبي ﷺ مرة من المرات صدره قائلاً: «**ليهنك العلم أبا المنذر**».

• **حسان بن ثابت** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

كان مشروعه الذي عاش له «**الشعر**» حتى كان شاعر الدعوة في زمانه، وتقوَّتْ بمشروعه الدعوةُ، وشاع به دين الله تعالى في الأرض، وهزم به الأعداء هزائم نفسية في مواقف كثيرة، حتى قال النبي ﷺ: «**أجب عني، أيدك الله بروح القدس**».

وقال له ﷺ: «**اهجهم وجبريل معك**».

وقال ﷺ في بيان أثر هذا المشروع في رفعة الدين، وهزيمة الباطل: «**إنه أشد عليهم من وقع النبل**».

- **خالد بن الوليد** رضي الله عنه:

كان مشروعه الذي عاش له دقائق حياته وتفاصيل عمره «**الجهاد في سبيل الله**» حتى قال الذهبي عنه: «سيف الله تعالى، وفارس الإسلام، وليث المشاهد، السيد الإمام الأمير الكبير، قائد المجاهدين، أبو سليمان المخزومي المكي، شهد الفتح وحنيناً، وتأمَّر في أيام النبيِّ ﷺ، واحتبس أدراعه ولَأمته في سبيل الله، وحارب أهل الردة ومسيلمة، وغزا العراق واستظهر، ثم اخترق البرية السماوية بحيث قطع المفازة من حدِّ العراق إلى أول الشام في خمس ليال في عسكر معه، وشهد حروب الشام، ولم يبقَ في جسده قيد شبر إلا وعليه طابع الشهادة، عاش ستين سنة، وقتل جماعة من الأبطال، ومات على فراشه، فلا قرت أعين الجبناء» اهـ.

ووصل شغفه بمشروعه وحبه له وانتماؤه إليه حتى قال: «ما من ليلة يُهدى إلـيّ فيها عروس أنا لها محب؛

أحبّ إليّ من ليلة شـديدة البرد كثيرة الجليد في سرية أصبّح فيها العدو».

وتعذَّر في آخر حياته عن انشـغاله بمشـروعه عن كتاب الله تعالى قائلاً: منعني الجهاد كثيراً من القراءة..

وهاهو يبكي في آخر لحظاته في الدنيا، ويكتب لنا بمداد من ذهب عظمة المشـروع في حياته قائلاً: لقيت كذا وكذا زحفاً، وما في جسـدي شـبر إلا وفيه ضربة بسيف، أو رمية بسهم، وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء.

- **عائشة بنت أبي بكر الصديق** رضي الله تعالى عنهما:

كان مشروعها الذي عاشت له حياتها «**العلم**» حتى بلغ مسندها «ألفين ومئتين وعشرة أحاديث».

قال الذهبي: ولا أعلم في أمة محمد ﷺ من النساء، بل ولا في النساء مطلقاً امرأة أعلم منها. اهـ.

- **أبو هريرة** رضي الله عنه:

الصحابي الجليل صاحب مشروع عاش له لحظاته، وبذل فيه أوقاته، وأودع فيه كل ما يملك من جهد، وفي النهايـة غادر أبو هريـرة الدنيا، وظل مشـروعه «**حفظ حديث النبـيِّ** ﷺ» نهـراً دافقاً يجري في جسـد الأمة

يحييها كل لحظة، ويهتف بها إلى رحاب السـنة النبوية كل حين.

عاش لمشروعه وحفظ الوحي، ولا يذكر نبيك ﷺ اليـوم فـي مجلـس أو لقـاء أو درس أو اجتماع إلا وبصحبته هذا الصحابي الجليل رضي الله تعالى عنه.

فكم هي منن المشاريع على أصحابها!.

* * *

أصحاب المشاريع ٢

من الكبار الذين صنعوا مشاريعهم، وعرفوا الفكرة الحية التي يعيشون من أجلها، وأدركوا أن قيمة الإنسان من خلال مشروعه الذي يدفع به في تاريخ أمته:

• **البخاري** رحمه الله تعالى:

ومشروعه العمري «**حفظ حديث رسول الله** ﷺ».

بدأت رحلة مشروعه واستنهض همته له وهو في سن العاشرة، ولم يتركه حتى رحل من الدنيا وعمره اثنتان وستون سنة، وقضى في مشروعه ما يزيد على خمسين سنة.

لم يكن مشروع البخاري الذي تراه الأمة اليوم بهذا الحجم وليد لحظات باردة.. كلا، وإنما كان ضجيع التعب والهموم والمعاناة الكبرى، بلغ من عنايته بمشروعه أنه لم يدوّن حديثاً واحداً في كتابه الصحيح حتى يغتسل ويصلي ركعتين، ولم يرحل صاحب المشروع حتى اعترف له أصحاب الشأن ورفقاء الدرب بلقب أمير المؤمنين في الحديث، حتى قال ابن خزيمة واصفاً صاحب المشروع: «ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث من محمد بن إسماعيل البخاري».

وقال أبو جعفر: سمعت يحيى بن جعفر يقول: «لو قدّر لي أن أزيد في عمر محمد بن إسماعيل من عمري لفعلت؛ فإن موتي يكون موت رجل واحد، وموته ذهاب العلم».

وودّع البخاري الدنيا وترك لنا صحيحه علامة شاهدة على روح مشروعه وأثره، ويكفيه شرفاً وقدراً ورفعة أن أقام النبيّ ﷺ بين الأمة ناطقاً في كل لحظة إلى قيام الساعة.

• **الحافظ ابن حجر** رحمه الله تعالى:

ومشروعه «**تأليف كتاب فتح الباري الذي شرح فيه صحيح البخاري**».

وقضى في مشروعه خمسة وعشرين عاماً، حتى قال الشوكاني رحمه الله تعالى: لا هجرة بعد «الفتح». اهـ.

وهاهي الأمة من تاريخ الحافظ إلى يومها هذا تعد «الفتح» أعظم المشاريع التي خُطت لبيان جلالة أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى.

• **أبو حنيفة، ومالك بن أنس، ومحمد بن إدريس الشافعي، وأحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى:**

الأئمة الأربعة الكبار، روّاد المشاريع، وصانعو التاريخ، **وأصحاب المذاهب المشهورة** والتي لا زالت

الأمة تتعلّم منهم، وتهتدي للحق من خلال مشاريعهم، وتمضي سالكة إلى ربها تعالى من خلال التفقه على مذاهبهم.

• **ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

وقد قدم للأمة مشروعاً فكريّاً كبيراً تمثّل في كتابه «**العبر وديوان المبتدأ والخبر**».

ولأثر المشروع وأهميته في حياة الأمم اليوم رفع به ابن خلدون إلى كبار المفكرين حتى قيل عن مشروعه: عمل لم يقم بمثله إنسان في أي زمان ومكان.

• **جابر بن حيان:**

ومشروعه «**علم الكيمياء**» الذي برع فيه، وصرف له كل ما يملك من وقت وجهد وعناء، حتى صار هذا العلم يعرف به فيقال: علم جابر.

حتى قال عنه ابن خلدون: إمام المدونين ـ في علم الكيمياء ـ جابر بن حيان، حتى إنهم يخصونها به فيسمونها «علم جابر»، وله فيها سبعون رسالة. اهـ.

وعُد صاحب المشروع أول من أدخل التجربة

العلمية المخبرية في منهج البحث العلمي، وقد عكف على مشـــروعه واهتم به وعنـــي بنجاحـــه، وكتب فيه مؤلفات، وترجمت هـــذه الكتب إلى اللغـــة اللاتينية، وظلت هذه الكتب هي المرجـــع الأوفى للكيمياء قريباً من ألف عام.

- **محمد بن موسى الخوارزمي:**

ومشـــروعه «**علم الجبر**» والذي يعرف باســـمه إلى اليوم في بلاد الدنيا.

واعترف علماء الغرب قاطبـــة بأثره في علم الجبر، ووصفوه بأنه أعظم رياضي في عصره، بل عده بعضهم أعظم رياضي في كافة العصـــور.. وهذا كله يدلك على عظم مشـــروعه في الأرض، وأثره فـــي تحريك الحركة العلمية في الحياة.

- ونمـــاذج أخـــرى مماثلة فـــي الســـاحة العلمية التجريبيـــة؛ **كالرازي** أحد أعلام الطـــب، **وابن النفيس**، **ومالك بـــن نبي** في مشـــروعه الفكـــري، **وأبي الأعلى المودودي**، وآخرين على ذات الطريق أسهموا بجلاء في تقدم الأمة، وكتابة تاريخها المثير.

- **سليمان بن عبد العزيز الراجحي:**

في **مشروعه المالي**، بدأت رحلته لمشروعه في سن العاشـــرة أو قبل ذلك بقليـــل، وظل مرابطـــاً على هذا المشروع، وقدم له ما يستحق أن يكون به كبيراً، وهاهو يدفع به في تاريخ الأمة من أوسع نطاق.

* * *

أصحاب المشاريع ٣

من الكبار الذين لم يرحلــوا من الدنيا حتى صنعوا فيها واقعاً بهيجاً، ومدوا في مساحتها:

- **عبد الرحمن السميط في مشروعه الدعوي:**

تــرك لأجل مشــروعه الوطــن، ورحل إلــى بلاد إفريقية، حتى قيل في وصفه: «الرجل الذي غيّر القارة».

ومضت الأيام وهاهو يعانق بطموحه المجد، ويقف مشروعه ماثلاً بعد أن اســتوى على سوقه، ولعله بلغك أن إحدى النتائج لذلك المشــروع اليوم إسلام ما يزيد على ستة عشــر مليوناً، من غير البرامج والمشروعات العلميــة، والطبيــة، والاجتماعية، وغداً بيــن يدي الله تعالى تبين الفوارق بين العالمين.

- **الألباني** رحمه الله تعالى:

ومشروعه «**تحقيق حديث النبي** ﷺ» أعظم المشاريع في العصر الحاضر، وأزكاها أثراً في حياة الأمة.

وقد عاش مشــروعه كل لحظات عمره، وتحوّل به من صاحب محل لا يتجــاوز مترين يُصلــح فيه بضع ســاعات، إلى الدنيا قاطبة يكتب فيها أعظم الذكريات!

ولا تكاد اليوم تسمع درساً أو خطبة أو كلمة في أصقاع الأرض إلا وهو حاضر فيها باسط الذكريات!.

• مشروع «**قنوات المجد الفضائية**»:

والذي يعد باكورة المشاريع الإعلامية الرائدة على مستوى الأمة، وتُقدم من خلال هذا المشروع قِيَم الدين، وتبني توجهات الأجيال، وتعين على بلوغ الناس لغاياتهم الكبرى في الحياة.

• **محمد يوسف سيتي**:

باكستاني الجنسية، بدأ مشروعه «**جمعيات تحفيظ القرآن الكريم**» في بلاده، ثم قدم مكة ليستكمل فيها رحلة المشروع، وأنشأ أول جمعية لتحفيظ القرآن بمكة المكرمة عام (١٣٨٢هـ)، وجلب لهذه الجمعية معلمين من باكستان.

ثم توجه بعد عامين من نشوء الجمعية في مكة المكرمة إلى المدينة النبوية وأنشأ بها جمعية تحفيظ القرآن الكريم بالمدينة عام (١٣٨٤هـ).

ثم بعد مضي عامين توجه إلى مدينة الرياض وأنشأ بها جمعية تحفيظ القرآن الكريم عام (١٣٨٦هـ).

ورحل محمد يوسف سيتي ولقي ربه، وتواصل بعده ذلك المشروع في مدن المملكة العربية السعودية،

وبلاد العالم الإسلامي، وما تراه اليوم من هذه الجموع المباركة من علماء وأئمة وخطبــاء وطلاب علم وروّاد إصلاح هي بعض ثمار مشروعه الكبير[١].

• **محمد توفيق:**

الرجل المؤسسة كما يصفه بعض الكتاب، مشروعه «**دعوة غير المسلمين إلى الإسلام**».

امتد مشروعه إلى ما يزيد على السبعين عاماً.

بدأت فكرة المشروع لدى الرجل مما رآه من افتتان العرب والمســلمين بالأجانب، يقول: فإذا استطعت أن أقنع هــؤلاء الأجانــب بالإســلام أجبرنــا المفتونين للالتفات إلى عظمة ديننا والالتزام به.

انطلق مشروعه، وكانت سياسته ألا يترك من يبدأ في دعوته إلا بعد أن يعلن الشــهادتين، وكانت أقصر مدة للدعوة شــهرين، وأطول مدة خاضها سبعة عشر عاماً.

وواصل مشــروعه، واستمر فيه، وأســلم على يديه آلاف، من هؤلاء قسيس يعمل أستاذاً للأدب في جامعة الفاتيــكان، وقاضــي جزيرة ســان موريــس، والقائد

---

(١) مجلة البيان، العدد (٢٥٣)، لكاتبه: خالد بن عبد الله الفوّاز.

الهولندي «كلنجر» الذي أسـمى نفسـه «محمد توفيق كلنجر» تيمناً باسم صديقه محمد توفيق.

وناهز التسـعين عاماً من عمره وهـو لا يزال ينوء بمشروعه، ويحلم بتحقيق آماله في الحياة.

- **عبد الحميد بن باديس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

في **مشروعه الدعوي** أيام الاحتلال الفرنسي للجزائر.

خاض مشروعه بعد احتلال الجزائر بستين سنة من خلال دروس العلم، والدعوة، ومشاريع الإصلاح على تنوعها.

ولم يرحل حتى كوّن لبنات، هي التي ساهمت في اسـتعادة البلاد أرضها، وبدأت رحلة الحرية في وقعها من جديد.

- **أحمد ديدات** رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

من خلال مشـروعه «**الدعوة للإسـلام**» من خلال المناظرات والندوات والمحاضرات والكتب والمعاهد الشرعية لتخريج الدعاة للإسلام.

وفتح الله تعالى على يديه من خلال هذا المشـروع آفاقاً واسـعة، ولو لم يكن مـن أثره إلّا طالبـه اليافع الداعية الهندي (ذاكر) الذي يمد في رقعة هذا الدين من خلال ذات المشروع لكان كافياً في المقام.

• **عبد الله القرعاوي** رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

في **مشروعه الدعوي والعلمي**، والذي كوّن به طلاباً كحافظ حكمي، وعبد الله البسام، وعبد الله بن عقيل رحمهم الله تعالى، وفتح به آفاقاً للدعوة من خلال فتح المدارس وبناء المساجد وتعليم الناس من القصيم مروراً بالحجاز إلى اليمن.

وكم من أجيال تروي أثره، وتمد في قصة مشروعه، وتبعث في أحلامه، وتعيد ذكرياته في الواقع من جديد.

• **د. علي بن عبد الله الفقيه:**

والذي حول حملات الملاريا التي تقيمها وزارة الصحة في المملكة العربية السعودية إلى مشروع صحي ضخم «**جمعية زمزم للخدمات الصحية التطوعية**»، والتي هي اليوم شامة في العمل الخيري في هذه البلاد، وصنع من محافظة القنفذة من خلال العمل على تأهيل طاقاتها حكاية من أمل كانت أمنية في مساحة ضيقة، وهي اليوم أفسح ما تكون في الأرض.

ورحل رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ عن الدنيا وهو في باكر شبابه، وخلّف حُمّالاً للرسالة، وصناعاً للمشاريع، وكم من أثر يحكي قصة! وتاريخ يمد في مساحة، وشواهد تدفع بآمال ذلك المشروع من خلال هذه الذكريات!.

أصحاب المشاريع ٤

• **حفظي سائق شاحنة في أوربة:** أراد أن يشارك في بناء أمته، ويحقق حلمه من خلال **مشروع الإذاعة**، فصنع إذاعة في النمسا يبث منها دين الله تعالى إلى أقطار الأرض. بدأ مشروعه من خلال صناعة مقاطع نشيد، ثم تحولت الفكرة إلى إذاعة يسجل فيها محاضرات العلماء ثم يبثها للعالم، ويستجلب دعاة يشاركون في الإذاعة بشكل مباشر، ثم توسعت هذه الإذاعة، وأصبحت تبث للعالم ما يثير شجون صاحبها وآمال أمته. واستطاع سائق الشاحنة أن يدخل صفوف الكبار، ويفقه لغة المشاريع، ويعيش في جزء من الأرض ينوء بأحمال مشروع، وهموم أمة، وتحديات واقع.

• **المرأة السوداء:** قصة مشروع مثير في الواقع في زمن النبي ﷺ، قصدت تأخيره إلى هذه المساحة لأنّي خشيت أنْ تقرأ صناع المشاريع والتجارب الضخمة، ويحول حجم المشاريع بينك وبين أمانيك.

هذه المرأة استطاعت أن تقرأ قدراتها وإمكاناتها بوعي، فحددت مشروعها بناء على تلك القدرات

والإمكانات، فبنت لها خباءً في المسجد، وعكفت على تنظيف المسـجد. وحين رحلت من الأرض في سـاعة متأخِّرة مـن الليـل؛ غسـلها الصحابة وصلـوا عليها ودفنوها، ولـم يبلغوا نبيَّ الله ﷺ برحيلهـا. وحين جاء الفجر فجع النبي ﷺ برحيل صاحبة المشـروع، وسأل عنها وتأسَّف على فواتها، وعتب على الصحابة في عدم إبلاغه، ثم يمم وجهه إلى قبرهـا ﷺ موادعاً. إن المثير أن صانعة هذا المشـروع امـرأة، ضعيفـة الإمكانات، واسـتطاعت رغم هـذه الظـروف أن تحـدد قدراتها، وتتعرف على إمكاناتها، ثم تحدد مشروعها، وتبدأ رحلة العمل، حتى أتت في النهاية منه على أبهج اللحظات.

• إنني أذكِّرك في ختام جولة هؤلاء الكبار أن اعتناق هذه الفكرة (مشروع العمر) ليست حكراً على أحد، ولا يحكمها سن، ولا بيئة، ولا ظروف؛ فقط تحتاج صاحب همَّة وإرادة وتحديات، وهي كافية في عناق هذه الفكرة، وصناعة أحلامها في الواقع القريب بإذن الله تعالى.

إضاءة:

في باب الاستئذان لا تطرق على باب فوق ثلاث، وفي باب طلب المجد لا تترك ذلك الباب حتى يُفتح لك.

رسالة

وأنا أزعم أن كلَّ صاحب مهنة ذا مهارة فيها، وكلَّ عالم في باب من أبواب العلم، وكلَّ فنان، وكلَّ ذي مركـــز مالـــي متميّز؛ يمكنـــه أن يكون صانعاً للحياة، ومحوراً تـــدور حوله أعداد كبيرة من الناس.

(الراشد في كتابه: صناعة الحياة)

* * *

مشاريع مقترحة

المشــاريع التي يمكن أن ينتســب إليها الإنســان كثيــرة، ومختلفــة، ومتنوعــة، ويمكن لــك أن تختار مشروعك في الحياة كما تريد، وسأعرض لك هنا بعضاً من المشــاريع التي يمكن أن تكــون إضاءة على طريق هذا العالم الفسيح في حياتك في مستقبل الأيام:

• **من تلــك المشــاريع: إغاثة الفقراء والمســاكين والمعوقيــن والأرامل والأيتــام وتفريج كربهم وســد حاجتهم**: ولو لم يكن في ذلــك إلا قول النبي ﷺ: «**أنا وكافــل اليتيم كهاتين في الجنة**»، وقوله ﷺ: «**الســاعي على الأرملة والمســكين كالمجاهد في سبيل الله**» لكان كافياً في المقام.

• **ومن تلك المشــاريع: الإصلاح بين الناس**: وسد ما بينهم مــن شــقاق، ووأد الخلاف والنزاع، وســد ثغرات الفرقة، وجمع شــمل المفترقين بكلمــة صالحة، وجهد مبارك، وعمــل دؤوب. وقد قــال الله تعالى مبــاركاً هذا المشروع، وداعياً إليه همم الكبار: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ

ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٤]. وقال رَسُولُ اللهِ ﷺ متمماً لذلك: «**أحبُّ النَّاس إلى الله تعالى أنفعُهُم للنَّـاس، وأحبُّ الأعمالِ إلى الله تعالى سـرورٌ تدخلُهُ على مسلمٍ، أو تكشفُ عنه كربةً، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأَنْ أمشي مع أخٍ في حاجة أحبُّ إليَّ مـن أن أعتكفَ في هذا المسـجد ـ يعني: مسـجد المدينة ـ شـهراً، وَمَن كفَّ غضبه ستر الله عورتَهُ، ومن كظم غيظَهُ ولو شاء أن يمضيَهُ أمضاه؛ ملأ الله قلبَهُ رجاءً يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجةٍ حتَّى يتهيَّأَ له؛ أثبت الله قدمَهُ يوم تزول الأقدام**».

• **ومن تلك المشـاريع: أن يكون الإنسان طبيباً نافعاً مباركاً في أمته:** ويتولى سـد فرض من فـروض الكفاية على المسـلمين، ويكفيهم أثر التولي عن هذه الوظائف التي لا تقوم مصالح المسلمين إلا بها، فيقوم على رعاية المرضـى، ويتولَّى همـوم الناس ومشـكلاتهم الصحية والنفسـية، ويقوم على نشـر ثقافة العلم الـذي يحمله، ويكون بذلك درعاً واقياً مـن الأمراض والأوبئة، ويحيي في مجتمعه ووطنه وأمته مفهومَ الصحة وأثرها في تحقيق الحيـاة الكريمة للناس. «وينتسـب إلى صفـوف الدعاة مئات الأطباء ولكن خمسـين منهم يمكن أن يكونوا من

صُنّاع الحياة حقّاً... فإن الجرّاح يجري ألف عملية خلال عشر سنوات على الأقل، ومع كل عملية يشكره أبناء المريض وأشقاؤه وأصدقاؤه وجيرانه، فإذا كان نبهاً انتقى منهم عشرة فوطّد بهم علاقته، ويظل يتصل بهم تلفونيّاً وبالمراسلة ويبارك أعيادهم، ويعزِّيهم عند المصائب، ويرسل لهم الكتب والأشرطة، وهو خلال كل ذلك يؤذّن فيهم أن آمنوا، وأن الإسلام حق، وأن رجال الإسلام أخيار. ويعاونه سكرتارية نشطة، وتقوم بتذكيره، فيحصل بذلك على ولاء واحد على الأقل منهم حتى لو أهدرنا التسعة، أي: يقدم للدعوة ألف ولي خلال حياته الطبية الدعوية، أي: تحوز الدعوة خمسين ألفاً عبر أذان الأطباء الخمسين من صُنّاع الحياة..» (الراشد: صناعة الحياة).

• **ومن تلك المشاريع: أن يكون الإنسان مهندساً، جادّاً في رسالته، كبيراً في واقعه**: ويصنع قدوة صالحة في حمل فروض الكفايات عن المسلمين، ويقوم على حوائج الناس، ويبني مفاهيم العمران، والحضارة الإسلامية. «والمهندس المعماري من أهم صناع الحياة، فإن بعض عجائب النحل يكمن في سداسياتها، ونصف جمال الحياة بين جناحي فراشة.. المدينة الجميلة جزء من الحياة..» (الراشد: صناعة الحياة).

• **ومن تلك المشـــاريع: مشـــروع التعليم**: وهو من أعظم مشـــاريع الأمة، وأكثرهـــا أثراً فـــي الواقع! وإذا صحت النية في مشـــروع كهذا نال به الإنســـان خيري الدنيا والآخرة، وحاجة الأمة إليـــه أكثر من كل حاجة، ولو وجدت الأمة اليـــوم من يقوم على هذا المشـــروع ويرعاه ويقوم بواجبـــه كما أريد له؛ لتغيَّـــر وجه الأمة، وعادت كما كانت في صدر الزمان.

• **ومن تلك المشـــاريع: مشـــروع التربية لأبناء المســـلمين، والعنايـــة بتخريـــج أجيـــال تفهم هذا الإســـلام فهماً صحيحاً، وتقوم بحقـــه في العالمين**: والمشـــاريع التربوية بالذات من أكثر المشاريع أثراً في تقدم الأمة، وصناعة مجدهـــا، وكتابة تاريخها، وكل مشـــروع يقوم على بناء هذا الإنسان، ويصوغ مفاهيمـــه، ويبني قيمـــه؛ يأتي على آمـــال الأمة من أوسع الأبواب.

• **ومن تلك المشاريع: مشروع دعوة الجاليات**: وهو مشروع يزيد في مســـاحة هذا الدين ويوسّـــع من أثره، ويدفع به إلى آماله العراض، وقد قال النبي ﷺ مبيناً أثر هذا المشـــروع على صاحبه: «**لئن يهـــدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمْرِ النَّعَم**».

• **ومن تلك المشــاريع: القيام على حفظ كتاب الله تعالى وفهمه وتدبــره وتعميم أثره فــي العالمين**: وقد قال ﷺ: «**خيركم من تعلَّم القرآنَ وعلمه**».

وســـواء نصّب الإنسان نفســـه لهذا المشـــروع بأن جلس لأبناء المســـلمين معلّماً لكتاب الله تعالى، أو قام على المشروع إدارة ومتابعة وإثراءً؛ فكل ذلك في عداد المشاريع.

• **وقد يكون مشـــروع الإنســـان مشـــروعاً إعلاميّاً**: يتولى صياغة عقـــول الأمة، ويبنـــي مفاهيمها، ويصوغ قيمها من خلال برامج ومشروعات قيمية مؤثرة، ويلعب هذا المشـــروع اليوم دوراً خطيراً في واقع الأمة إيجاباً وســـلباً، وما لم يجد صنّاعاً لفكرته، وكبـــاراً في إدارة مشروعه، وإلا خسرت الأمة من خلاله شيئاً كبيراً.

• **وقد يكـــون مشـــروع الإنســـان ترجمـــة الكتب والمقالات والعلوم** التي تفيد الإنسان في حياته العلمية أو العملية.

• **وقد يكون مشروع الإنســـان بناء الأسرة المسلمة على منهج الله تعالى، وســـنة نبيـــه** ﷺ: وإعدادها حتى تكون قادرة على حمل رسالتها وتولي قضاياها بناء لها ودفاعاً عنها.

على أنني أذكرك أيها الكبير في همومك أن مثل هذه المشاريع مجرد أمثلة، وأنت أعرف بما يخصك منها، وما يناسب ميولك، وما تأتي إليه نفسك، وإياك أن تشارك في مشروع لا علاقة لك به، ولا رابطة بينك وبينه، والخيار لك، وأنت المسؤول الأول والأخير عن ذلك، والخيارات كثيرة ومتنوعة، وكل مشروع يمد في مساحة دينك يمكنك أن تعتنقه وتأتي على آمالك من خلاله.

إن الأبواب التي ندعوك إليها يا صاحبي كثيرة لا تكاد تُحصى، وما سطرناه لك هنا فقط أمثلة.

«ونظرية صناعة الحياة لا تريد كلَّ الدعاة فلاسفة أو شعراء، وإنما هي مئة صناعة ومهنة وتخصص وفن، وما نظن أحداً يقف بهذه الأبواب المئة يطرقها ثم لا يُفتح له باب يلج منه إلى دار الاجتهاد وركن الإبداع، ونظريتنا بريئة من إرهاق أحد وإعناته وإحراجه، بل دون الذكي الاختيار الحر يرسم لنفسه الدور الذي يشاء إذا شاء الله، وكل الطرق تؤدي إلى القاهرة وصنعاء، ويعقوب ما زال يوصي أبناءه: يا بني ادخلوا من أبواب متفرقة، فقط يُراد لنا أن نثق بأنفسنا...» (الراشد: صناعة الحياة).

* * *

مواصفات المشروع

المشـــروع الـــذي يختاره الإنســـان لنفســـه ليكون مشـــروع عمره فـــي الحيـــاة لابـــد أن يكون مســـتوفياً للمواصفات التي تمنحه وصف المشـــروع، وترسم له وجوداً من خلال العمل والتضحية والبناء.

ومجمل هذه الصفات أربع:

- **الصفة الأولى في المشـــروع: أن يكون مشروعاً يصل بين دنيا الإنســـان وآخرته:** وهذا هو الأصل في حياة المســـلم، ولم يكـــن بحاجة إلى بيـــان لولا هذه الفرقة التي يراها الإنســـان في الواقع. وقد أطربني ما قال محمد قطب في كتابه (قبسات من الرسول) حين قـــال: «أول ما يخطر على البال هو هـــذه العجيبة التي يتميّز بها الإسلام: أن طريق الآخرة هو طريق الدنيا بلا اختـــلاف ولا افتراق، إنهما ليســـا طريقيـــن منفصلين أحدهما للدنيا والآخر للآخـــرة! وإنما هو طريق واحد يشـــمل هذه وتلك، ويربط ما بين هـــذه وتلك، ليس هناك طريق للآخرة اســـمه العبادة، وطريق للدنيا اسمه العمل! وإنما هو طريق واحد أوله في الدنيا وآخره في الآخرة، وهـــو طريق لا يفترق فيه العمـــل عن العبادة،

ولا العبادة عـن العمل، كلاهما شـيء واحد في نظر الإسلام، وكلاهما يسير جنباً إلى جنب في هذا الطريق الواحد لا طريق سـواه». اهـ. إن المشروع الذي يتبناه الإنسـان لنفسـه لا بد أن يكون في حسِّ صاحبه أولاً المشاركة والمسـاهمة على الأقل في بناء صرح الأمة الكبير، وحين يخلو ذهن الإنسـان من هذا المعنى فلا مفروح بعمل يقدِّمـه، ولا هدف يركض إليه، ولا حياة يسـعى في تحقيقها من أجل ذلك مهما بلغ ما يدفعه في ذلك من جهد وعمل.

• **الصفة الثانيـة: أن تكون محبّاً لمشـروعك**: ولا شـيء يصنع الإبداع كالحـب! والأفكار التـي نحبها نجتاحها بمشـاعرنا، ونصنـع لها واقعاً من لا شـيء، وتعود في النهاية صرحاً شـامخاً بعـد أن كانت مجرد فكرة عابرة. إن الأعمال التي نجد لها واقعاً في نفوسنا، ونقبل إليها ونحن نشعر أن بيننا وبينها صلة؛ نهبها كل شيء، ونشعر أنها تقتات من قلوبنا قبل أن نصرف عليها شـيئاً من جهودنا وأموالنا. الحب وحـده يصنع حكاية النجاح، ويبني لها سـلالم الرقي، ويقرّب لها مسافات النمو، ويظل يسـقيها بماء الأمل والفأل حتى يأتي منها في النهاية على كل شـيء. وإذا أردت أن تصنع حكاية

للاستمتاع في واقعك فانصب حياتك كلها لفكرة تعشقها، ومشروع تحبه، وقضية تعيش لها، وأعدك أن تتحوَّل تلك الصحارى المبسوطة في الواقع إلى مساحات شاسعة من الربيع.

- **الصفة الثالثة: أن يكون مشروعك الذي اخترته متوافقاً مع قدراتك وإمكاناتك:** وهذه صفة غاية في الأهمية في نجاح مشروعك، لا بد أن يكون هذا المشروع متوافقاً مع قدراتك وإمكاناتك، وإياك أن تتقمَّص مشروعاً ليس لك! أو تتبنى فكرة لا علاقة لك بها! أو يسوقك الآخرون إلى أفكارهم ومشاريعهم، فتخسر وقتك، وتفوت عليك فكرتك الأصل وتعود تبعاً لآخرين، وتبدأ رحلة خصام نكدة بينك وبين أفكارك التي تعيش لها ومن أجلها!.

إن بعضاً من أصحاب المشاريع يدفعهم الفرح ببعض المشاريع التي يرونها في الواقع، فيندفعون إلى تقليدها، ومحاكاتها، ويحاولون جاهدين في جعلها مشاريعهم وواقعهم ورحلتهم في الحياة، ويفاجَؤون في النهاية أنهم لم يصلوا إلى شيء، ويعودون بعد فوات الزمن يبحثون عن الفكرة الضائعة، والمشروع الصحيح، وقد فات الأوان.

• **الصفة الرابعة: أن يكون مشــروعك مشروعاً ممكناً فــي الواقع:** إنك حين تختار مشــروعك ينبغــي أن تختار مشــروعاً قابلاً للتنفيذ، وفــي حيّز الإمــكان، وبين يدي قدراتك وإمكاناتك، فلا تختر مشروعاً لا يمكن أن يكون له واقع؛ إما لكبر حجمه، أو لعظمة إمكاناته، أو لما يتطلبه من أدوات وأموال لا يمكن للإنســان بلوغها أو الوصول إليها، إلا إذا كانت هــذه المعاني كلها في قدرة الإنســان وإمكانه، فذلك شــيء آخــر، ولا يمنع الإنســان تبعات المشروع وتكاليفه من اختياره إذا كان يحبه وفي إمكانه.

على أنني أذكِّرك وأنت تقرأ هذه الصفات وتتأملها: أنها متكاملة، فلا يمكــن أن تأخذ بعضها وتترك بعضها الآخر، بل إن لم تتوافر هذه الصفــات الأربع كلها في ذات المشــروع الذي اخترته فلن تهنأ بمشروعك الذي تحب، ولن تصل إلى أمانيك التي تريد.

* * *

إضاءة:

كل الأفكار الجميلة إذا لم تقتت من أرواح أصحابها؛ فلن تجد مكاناً مناسباً، وواقعاً تُدلي فيه بالثمار.

* * *

أنصاف الأشياء

نصف شربة لن تروي ظمأك، ونصف وجبة لن تشبع جوعك، ونصف الطريق لن يوصلك إلى أي مكان، ونصف فكرة لن تعطي لك نتيجة.

(جبران خليل جبران)

* * *



كيف تتعرّف على مشروعك؟ ١

هذا سؤال في غاية الأهمية، حين تعلم قدر المشروع، وأثره، وأهميته في حياتك الشخصية، ودوره المثير في مد مساحة واقعك، وتتوق نفسك إلى عناق هذا الحلم، وعيش هذه الحقيقة الكبرى، وتبدأ رحلة البحث والأشواق إلى هذه الأمنية، ويضنيك التفكير للوصول لذات الفكرة، ويتردد في واقعك هذا السؤال: كيف أتعرّف على مشروعي؟ يمكن حينها أن نبدأ وإياك قصة البحث عن هذه الحقيقة في الأسطر القادمة من هذا الكتاب.

فتعال معي إلى حيث أشواقك! إلى لحظة عناق الغيث بأرض الربيع.

تعالَ إلى رحلة الأفكار الحية، وقصص التاريخ المثيرة، وأحداث الواقع الكبير!.

هات يدك، عفواً قبل ذلك هات مشاعرك، وأشواقك؛ فرحلة الأفكار ما لم تضخها المشاعر بقوة لا تصل في الغالب إلى نهاية الطريق. تعال معي أحدثك عن الفكرة الحية (مشروع العمر) وأريك كيف تعثر عليها! وكيف تلقى مشاعرك حين تلقاها!.

قلتُ لك سابقاً: **مشـــروع العمر: مشروع تتضح في ذهنك أهدافه، وتســـتولي فكرته على فكـــرك وعقلك، وتبذل له جميع طاقاتك.** وإذا قرأت هذا التعريف قراءة ممعنة أدركت كيف تعثر على مشـــروعك، وتصل إلى غايتك، وتصـــل إلى أمانيـــك! وإذا أردت أن تعثر على مشروعك فلابد أن يكون في مشـــروعك الذي تختاره ثلاثة جوانب:

- **الأول: أن يكون هذا المشـــروع الـــذي تختاره مشـــروعاً واضحاً لك لا لبـــس فيه، تعـــرف أهدافه، وتدرك تفاصيله، وتحدد مســـافة الزمن التي سيقطعها من عمرك، ومســـاحة الأرض التي ستمشيها في سبيل الوصول إليه:**

من الضرورة يا صاحبي أن تكون أهداف مشروعك واضحة لا لبس فيها، كالفجر حيـــن يزيح ظلام الليل. ومـــا تصنع بمشـــروع يخالطه الظلام فلا تـــرى صورته النهائية، ولا تبين لك فيه مباهج الختام!. لو طُلب منك عرضٌ أو تعريفٌ لمشروعك انطلقت تبينه للسائل كأنما تحكي قصة حياتـــك وأحلامك لا فـــرق. إذا لم تعرف تفاصيل مشروعك، وأهدافه، ونقطة النهاية فقد لا تبلغ أشواقك فيه!.

• الثاني: أن تستولي فكرة المشروع على فكرك وعقلك:

أحدثك هنا عن الاستيلاء، عن مشاعر الحب، عن الشوق، وإذا لم تجد يا صاحبي ولهاً في قلبك، وشوقاً في مشاعرك، وتنساق إليه بمجرد سماع ذكره، وتقبل إليه إقبال الراغب للماء في يوم صائف بعد طول انتظار فلا مفروح به!. الاستيلاء الذي نتحدث عنه هنا معنى من الولاء يقوم في قلب صاحب المشروع، فيدفع من أجل مشروعه وقته وفكره وماله ومشاعره دون مقابل!. الاستيلاء يمكنك من السهر لساعات متأخرة من أجل مشروعك، ويقيمك من أحلى لحظات النوم لتعانق فيها أحلامك، ويحملك على حزم حقائب السفر من أجل ذات الفكرة التي تعيش من أجلها، ويجعلك تقرر العودة من أجله ولو كانت تكلفك كل شيء. حين تسافر من أجل تلك الفكرة، وتقيم من أجلها، وتستدين لها، وترى كل ما تصنع لا يعنيك في شيء؛ فتلك اللحظة هي لحظة ميلاد مشروعك في الحياة. أتحدث هنا عن الاستيلاء الذي جعل الشيخ عطية سالم رحمه الله تعالى حين أشكلت عليه مسألة علمية لم يزل في بحثها من الظهر إلى ضحى اليوم الثاني، وهو ذات الشغف الذي لازم الألباني رحمه الله تعالى فوقف على سلالم مكتبته في باكر يوم يطالع كتاباً فلم يرعه إلا أذان الجامع لصلاة الظهر.

حين يستغرق بك التفكير في مشروعك، وتستثمر كل لحظة للتعرّف عليه، ويثور فيك الشوق عند لقائه أو الحديث عنـه؛ فتلك مـن أبلغ دلائل الاسـتيلاء التي نتحدث عنها في هذه اللحظة. الاستيلاء لا يمكنك من الانتظار، بل يسـوقك الشـوق إلى اللقاء، ومن أعظم دلائله: كثـرة الحديث عن مشـروعك، وسـؤالك عن النجاح فيه، وإلحاحك في التعرّف على وسـائل جديدة لبلوغ غاياته والوصول إلى أمانيك فيه.

مشـروعك لا يمكـن أن يولد في نفسـك إلا في اللحظة التـي تجد فيها عملاً تنسـاق له دون شـعور، وتلهـث وراءه دون تفكير، وتخطو خلفـه دون تأمل.. هذه اللحظة هي اللحظة التـي يمكن أن نبارك لك فيها وجود مشروعك الشخصي.

فإن سـألت في هـذه المرحلة: هـل يجد صاحب المشـروع هذه المعاني من أول وهلة؟ وهل يلقاها في بداية الطريق؟.

فأقول لك: لا، ليس بالضرورة، بل الأصل أنها تنمو مع المشـروع، وكلما دفعت من وقتك لمشروعك كلما نَمَتْ وتمددت في حياتك.

لا شـيء يتمكن من قلبـك إلا بعد طـول تفكير!

الفكرة الحية يا صاحبي كالحُـب لا فرق! كلما منحتها تفكيرك وأفضت لها بمشـاعرك ومكّنتهـا من وقتك؛ زادت مسـاحة الاهتمام بهـا وتمكّنت من الاسـتيلاء وانداحت لها المشاعر والأفكار.

- **الثالث: أن تبذل له جميع أوقاتك:**

فإذا وجدت عملاً من الأعمال في أي مجال وكنت مستعدّاً تلك اللحظة أن تبذل فيه جميع أوقاتك، وتشعر بمتعة وراحة في ذلك الوقت؛ فهـذه من دلائل عثورك على فكرتك الحية.. إن أوقاتنا لا يمكن أن تبذل بسخاء إلا فـي عمل نحبه ونجد فـي دقائقه المتعـة والراحة، وحين نجـد ذلك العمل وتمر بنا تلـك اللحظات فهي الدليل البيّن على العثور على ما نبحث عنه من سنوات. حين تكون مسـتعدّاً للتضحية من أجل مشروعك بكل ما تملـك، تعطيه مشـاعرك في التفكيـر، وجهدك في النظـر، وحياتك في التأمل، ثم تصـرف له وقتك كله، وتمنحه دقائق عمرك ولحظات حياتـك، وترى أن كل ذلك أرخص ما يكون عندك وألـذ دقائق عمرك؛ فهذه عندي أصدق بينـة على أنك عثرت على مشـروعك، وبدأت رحلة الهوى التي يبحث عنها السائلون عن هذا المعنى الكبير.

• إذا وجــدت عملاً بهذه المواصفــات الثلاث، فقد وجدت مشروعك العمري، وعثرت على فكرتك الحية، ولقيت أمنيتك الكبرى، وبدأت رحلة أشواقك في عالم الحياة من جديد، وخلّفت وراءك جماهير كثيرة ما زالت تبحث عن ذات الفكرة، وتلهث وراء أماني المشاريع.

إن هذه الجوانب الثلاثة قد تكون كافية في التعرّف على مستقبلك، ومشروعك في الحياة، فإن وصلت إلى مشـــروعك من خلالها فأبارك لك ميــلادك الحقيقي، وأبارك لأمتــك بدايتك الحقيقيــة في العمــل والبناء والتضحيات.

وإن لم تصل إلى مشــروعك، ولم تهتدِ إليه مع كل ما ذكرت إليك؛ فتعال معي إلــى الخطوة الثانية لعلهــا تهديك إن شــاء الله تعالى إلــى أحلام عمرك وأمانيك الكبار.

* * *

إضاءة:

ستصل ما دمتَ موقناً أن حلمك الكبير في نهاية الطريق.

* * *

كيف تتعرّف على مشروعك؟ ٢

إن اختيار مشــروع حياتك قرار فــي غاية الأهمية، وهو من أصعب القرارات التي تتخذها في عمرك كله، لأنك ستعيش بهذه الفكرة ما بقي من حياتك.

اختر مشــروعاً ســتعيش معه ما بقي مــن عمرك! عليك أن تؤمن أن حسن اختيارك لمشروعك في البداية هو الكفيل بأن تعيش مســتمتعاً في حياتــك، مثيراً في واقعك، كبيراً في أملك وتحدياتك.

إنني أدعــوك في هذه اللحظة للعزلة، ســافر إلى مكان تجد فيه متعتك، وتشعر فيه بالاستقرار، ابحث عن مساحة من الأرض تجد فيها الهدوء، وتلقى فيها الراحة، وتخلّــص من جوالك حتــى لا تتعرض في أحرج لحظة من عمرك لقــرار تندم عليه طيلة حياتك القادمة.

إذا وجدت هذا الفراغ، وهذه اللحظات من زمنك، وتلك الفرصة الشــعورية في ذهنك؛ فدوّن هذه الأسئلة في دفتر خاص، ثم أجب على كل سؤال منها:

• السؤال الأول: ما اهتماماتك في الحياة؟.

....

....

....

• السؤال الثاني: ما الأعمال التي تستمتع بها في حياتك؟.

....

....

....

• السؤال الثالث: من الأشخاص الذين أُعجبت بهم في حياتك؟.

....

....

....

• السؤال الرابع: لماذا أعجبت بهم دون غيرهم؟.

....

....

....

- السؤال الخامس: ما أسعد لحظات حياتك؟.

....

....

....

- السؤال السادس: ما أهم ثلاثة أمور في حياتك؟.

....

....

....

- السؤال السابع: ما أهم أعمالك التي تقوم بها يوميّاً؟.

....

....

....

- السؤال الثامن: ما أهم ثلاثة أمور في حياتك على الإطلاق؟.

....

....

....

• السـؤال التاسـع: لو خيّرت بين أعمالك اليومية؛ ما العمل الذي لن تتخلى عنه؟.

....

....

....

• السؤال العاشر: ما أهم نقاط قوتك؟.

....

....

....

• السؤال الحادي عشر: ما مهاراتك ومواهبك التي تمتلكها؟.

....

....

....

• السؤال الثاني عشر: ما الأمنية التي تهتف بقلبك كل لحظة؟.

....

....

....

• السؤال الثالث عشر: لو دعيت إلى مكتبة أو معرض؛ ما الركن الذي يستحوذ على وقتك؟.

....

....

....

• السؤال الرابع عشـــر: لو فتح لك موقع على النت أو مدونة؛ ماذا ستكتب فيها؟.

....

....

....

• السؤال الخامس عشـــر: لو اتصل بك صديق لتقدم له برنامجاً تدريبيّـــاً أو تلقي له موضوعـــاً؛ ففي أي مجال ستتحدث؟.

....

....

....

....

• السؤال السادس عشر: ما ذا تريد أن تكون بعد عشرين سنة قادمة من حياتك؟.

....

....

....

• السؤال السابع عشر: ما المجال الذي تود أن تُعرف به بين الناس وتتميّز به في حياتك؟.

....

....

....

• السؤال الثامن عشر: في آخر اللحظات من عمرك.. اكتب عن مشروعك الذي تحب أن تتركه قائماً بعد موتك؟.

....

....

....

....

قد تأخذ منك هذه الأسـئلة يوماً واحداً، وقد تأخذ منك أسـبوعاً كاملاً، وقد تزيد على ذلـك فتصل إلى شـهر، وقد تمتد إلى أكثر من ذلك؛ لأنها أسئلة تحدد رحلتك فـي الأرض، وتعينك على العثـور على أعظم الأفكار أثراً في الحياة، وتكشـف لك أوسع المتع في واقعك (مشـروع العمـر)، وتكتب ميـلاد حياتك من جديد.

حين تنتهي من الإجابة عليها أعـد التأمل فيها من جديد، خـذ جولـة ثانية، وثالثـة، ورابعة، وعاشـرة؛ فالفكرة حقيقة بكل ما يُبذل في سبيلها.

فإن عثرت منها على مشـروعك الشـخصي فتلك الأحلام الغائبة عثرت عليها، وتلك الآمال التي تبحث عنها وصلتَ إليها، فإن لم يكـن، ولم تلق بعد فكرتك الغائبـة، وأحلامك الضائعـة؛ فتعال معـي إلى خطوة أخرى في ذات الطريـق فلعلك تأتي منهـا إلى آمالك التي تبحث عنها، وأشواقك التي تود عناق نهاياتها.

* * *

كيف تتعرّف على مشروعك؟ ٣

إنني أعذرك في هذا التحيُّر الملازم لك، وأقدّر لك ترددك الكبير في اختيار مشروعك العمري، فذلك قرار كبير خطير يستحق هذا القلق، ويحتاج إلى أطول مما منحته بكثير..

أدعوك هذه اللحظة إلى اكتشاف نفسك من جديد، تعرّف على قدراتك، وإمكاناتك، خذ جولة على مواهبك فقد تعثر على أكثر الحقائق وأعمقها أثراً في حياتك!.

إن مشكلتنا أننا نغفل عن اكتشاف قدراتنا الكبرى، ونتغافل عن كنوز في نفوسنا لا تحتاج سوى التركيز.

ما أحوجنا إلى بعث قدراتنا، واكتشاف طاقاتنا، والبحث عن الكنوز المدفونة في عالمنا الكبير.

يمكن أن يكون هذا البحث ذاتيّاً، ويمكن أن يستعين فيه الباحث ببعض المراكز المتخصصة التي تعينك على اكتشاف تلك القدرات المكنونة في نفسك، وتفتح لك نافذة على أغوار نفسك، وتجليات روحك.

إن لم تصل، أو تعثَّر البحث، أو لم تستطع الوصول إلى ما ذكرت؛ فخذ قلمك، ودوّن الأعمال والمشـــاريع التي تمارســـها أو تحبها وتجد رغبة في المشاركة فيها، ســـجّلها على ورقة، ثم علقها على جـــدار منزلك، أو ضعها على ســـطح مكتبك، أو على شاشـــة حاســـبك الشـــخصي، أو حتى في غرفة نومـــك، المهم أن تكون تلك المشـــاريع تحت نظرك تأخذ من وقتـــك، وتذكّر بهمومك، وتقرّب لك مسافات تلك الأماني.

تأمل تلك المشاريع المكتوبة، وأعد النظر إليها، وقلّب البصر فيها لترى أين تجد قلبك، ومشـــاعرك، ورواء روحك! ما المشـــروع الذي تنزع إليه روحك أكثر من غيـــره؟ ما المشـــروع الذي يســـتحوذ على قلبك، ويثير فيك الفضول؟.

قد قالوا يا صاحبي: شـــخص واحد لديه شـــغف أفضل من تســـعة وتسعين شـــخصاً لا يملكون سوى الاهتمام.

إنك حين تعرضها أمام نظـــرك كما تفعل الآن لا تبقي خيارات مفتوحة في عقلك، وإنما تحصر عقلك ونظرك فـــي هذه المشـــاريع بالذات، وهـــذا يعطيك فرصة المقارنة والاختيار.

حاول أن تحاصر فكرك ومشاعرك بجملة من الأسئلة:

ـ ما الشـــيء الذي أتميّز به، وأشـــعر فيـــه بالثقة، وأعرف أنني أقوى فيه من غيري؟.

ـ سل نفسك: ما الأشياء التي تلقى فيها ثناءً عاطراً ممن حولك؟.

ـ فيم يعتمد عليك الأصدقاء والزملاء والمقربون؟.

ـ ما المجال الذي يأســرك، والفن الــذي تجد فيه نفســك، والتخصص الــذي تــرى فيــه رواء روحك ومشاعرك؟.

ـ يــا صاحبي؛ الأطفــال لا ينامون ليلــة العيد! ما الفكرة والمشــروع والعمل الذي إذا بدأت فيه أصبحت كالأطفال الذين لا ينامون ليلة العيد؟.

ـ هل يمكــن أن تتعرّف علــى الأشــياء التي تثير فضولك؟.

ـ لو طلب منك المشــاركة في مناســبة؛ ما الفن، والتخصص، والمجال الذي ستشارك فيه؟.

ـ سل نفسك: ما أكثر الأشياء يهمك، ويلفت نظرك، ويبعث الشوق في قلبك؟.

ـ ثمة أشـــياء تســـتحوذ على همك أكثر من غيرها؛ تعرّف عليها فقد تكون هي القصـــة التي تنتظرك لقراءة فصولها!.

أرأيت من يريد أن يشتري ســيارة أو يبني بيتاً؛ كم يأخـــذ منه البحـــث والســـؤال، وكم تســـتغرق منه من أوقات! أليس من الغبن في حياتنا أن يستحوذ مركوبٌ أو مسكونٌ من الســـؤال والبحث أكثر من استعمار أكثر الأفكار أثراً في حياتنا!.

فإن وجدت ما تريد، وتحقق لك ذلك الحلم؛ فتلك الفرص التي تحتاج إلى شـــكر؛ فنبارك لـــك لقاء تلك الأمنية، ونهنئك بمستقبل العمل والبناء والتحديات!.

فإن لم تصـــل، ولم تعثر بعد على مشـــروعك، فلا تيئس وكن معي فيما بقي من أســـطر هذا الكتاب، ولا تقلق، فالأفكار الحية مكلفة، ومجهدة، وتحمل عناء في ســـبيل الوصول إليها، وبقي مســـاحات أرجو أن يكون فيها ما يعينك على الوصول إلى أمانيك.

* * *

كيف تتعرّف على مشروعك؟ ٤

أعرف أَرَقَك، وأقدّر فيك هذا البحث للقاء أمنيتك، وأشــكر لك هذا النَّفَس الطويل في سبيل عناق الأفكار الحية. وأقول لك: يمكنك أن تعثر على مشــروعك من خلال الآخرين؛ سواء كانوا معلمين أو أصدقاء أو زملاء، وفي التاريخ نمــاذج عثروا على مشــاريعهم من خلال الآخرين: فهــذا **البخاري** صاحــب «الصحيح» رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عثر على مشــروعه من خلال مشــورة ونصيحة وفكرة قالها شيخه في لقاء؛ قال: لو تفرّغ أحد لكتابة صحيح السنة! فتلقّف هــذه الفكرة، وصنــع منها أضخم مشــروع في الأرض (صحيح البخــاري). ومثلــه **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ رأى شــيخُه خطَّه فقال له: إن خطك يشــبه خط المحدِّثين! فثارت في قلبه وفكره، وبنى من خلالها مشروعه الكبير. وقال **أبو حنيفة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: مــررتُ يوماً على الشَّــعبيِّ وهو جالس، فدعاني وقال: إلامَ تختلف؟ فقلت: أختلف إلى فلان؛ قال: لم أعن إلى الســوق؛ عنيــت الاختلاف إلى العلماء؟ فقلت له: أنا قليل الاختــلاف إليهم، فقال: لا تفعل، وعليك بالنظر في العلم، ومجالسة العلماء؛ فإني أرى فيــك يقظة وحركة. قال: فوقع فــي قلبي من قوله،

فتركت الاختلاف ـ أي: إلى السوق ـ وأخذت في العلم، فنفعني الله تعالى بقوله. اهـ. ومثل ذلك **الشافعي** رحمه الله تعالى؛ فقد حكى تحوله من الشعر والأدب للفقه، فقال: كنت امرأً أكتب الشعر وآتي البوادي فأسمع منهم، وقدمت مكة وخرجت وأنا أتمثّل بشعر لبيد، فضربني رجل من ورائي من الحَجَبَة فقال: رجل من قريش ثم ابن المطلب رضي من دينه ودنياه أن يكون معلّماً! ما الشعر؟ الشعر إذا استحكمت فيه قعدت معلّماً.. تفقه يُعْلِكَ الله. قال: فنفعني الله بكلام ذلك الحجبي، ورجعت إلى مكة وكتبت عن ابن عيينة ما شاء الله أن أكتب. اهـ. وجاء **الألباني** رحمه الله تعالى بعد ذلك ليقول لنا: إن الفكرة إذا استعمرت صاحبها وجد لها فضاء في أحلك الظروف وأضيق المساحات.. كان في بداية حياته يصلح الساعات في مساحة لا تتجاوز المترين، لكنه لما كان شغوفاً بفكرة، وباحثاً عن مشروع؛ لم تمنعه ظروفه البائسة من البحث عن الفكرة المفقودة في حياته، وحين وقعت في يده مجلة وقعت في يده الفكرة الغائبة، ورأى من خلالها تحقيق العراقي لإحياء علوم الدين للغزالي، واستولت عليه تلك الأحرف (صححه البخاري، وحسنه الترمذي، وضعفه ابن المديني) فترك ما في يده، وتحوّل

من صانع ساعات إلى صانع عقول، ومن مساحة المترين إلى كل شبر من الأرض، ولم يرحل حتى جعل من مشروعه ذكريات ستظل إلى قيام الساعة. فقط أردت أن أقول لك: حلُمُك يصنع الحقيقة، ورغبتك تقرّب المسافات، وجديتك تعلو فوق كل شيء.. حين تكون جادّاً في البحث ستلقى فكرتك الحية، وستعثر على مشروعك الكبير.

شاور من تعرف من زملائك ممن تثق فيه وتعرف قدرته على حسن الاختيار، وكلما كان من تشاوره أعرف بقدراتك وألصق بك، وأعرف بفكرة المشروع كان أقرب وألصق بالفكرة، وأهدى من غيره إلى الصواب.

قابل من تثق به من المدرِّبين، والمستشارين من أهل الثقة، والخبرة والمراس، والعلم والعمل، والقدرة على حسن الاختيار، حاول أن تلتقي أصحاب المشاريع الذين لهم تجربة ونجاح ملموس في نجاح المشروعات فقد تجد من خلال تلك اللقاءات ما يفتح لك الطريق؛ فإن عثرت على مشروعك وحلمك وأمنيتك وفكرتك الحية فذاك، وإلا فتعال معي إلى آخر خطوة في الطريق لعلك تلقى ما بقي فيها من أمل.

كيف تتعرّف على مشروعك؟ ٥

رائع ومثير هذا التصميم على الوصول إلى مشروعك! يعجبني فيك هذا الإصرار، ومثلك بإذن الله تعالى أقرب إلى تحقيق مراده وعناق فكرته. يمكنك الوصول إلى فكرتك ومشروعك من خلال البحث في المشاريع التي تحتاجها الأمة، لا أعني أن تذهب تسد ثغرة في الأمة وحاجة لا تناسبك ولا توافق ميولك، كلا، وإنما أريدك أن تتأمل في المشاريع لتختار منها ما يناسب ميولك، ويبعث مباهج الحياة في قلبك. قلت ذلك لأن كثيرين يريدون نماذج وأمثلة تساعدهم في العثور، وتعينهم على التطبيق.

اقرأ سير الكبار والمؤثرين وصنّاع النجاح وكتّاب التاريخ؛ لترى مشاريعهم وأفكارهم التي عاشوا من أجلها، وضحوا في سبيلها؛ لعلك تعثر على أمنيتك وتلقى فكرتك، وإذا كان **البخاري** عثر على مشروعه من خلال كلمة عارضة، فلعلك تلقى مشروعك من خلال سيرة مثيرة.

بقي أن أقول لك: أوصيك أن تنطرح بين يدي الله تعالى، وتدمن دعاءه، وتطيل الوقوف بين يديه، وتخر له ذليلاً حقيراً لا تملك خياراً لنفسك إلا بعد توفيقه وهدايته لك.

تخيّر في دعائك أوقات الإجابة من السحر، وساعة الجمعة، ولحظات السجود، والخلوات وليكن ذلك كله

مع حسن رجاء وتوكل وصدق وإقبال.. وكم من غائب قرّبه الدعاء! وكم من أمنية أحالها واقعاً بعد طول انتظار!.

اسْتَخِرْ ربَّك تعالى، فإن رأيتَ بوارق توفيق، أو وجدت أحلامك التي تريد، وشعرت بصفاء روحك، ورضاها بما عرض لها؛ فهنيئاً، وإلا كرر هذه الاستخارة، وإذا حسن إقبالك قرب مطلوبك وتيسر لك ما تريد. فقط كن جادّاً في الطريق، صلباً أمام العقبات، ولا تستطل طريق أمنيتك؛ فالأفكار الحية تحتاج إلى طول أمل. ولا تقف متلفتاً في الطريق، قاعداً منتظراً أن يفتح الله تعالى لك في مشروع، بل اعمل، وقدّم لنفسك، ووسّع أثرك، ومد في مساحة دينك في أي مجال تراه أقرب لنفسك، واسْعَ في ذات الوقت للبحث عن فكرتك الحية، ومشروعك الكبير. وإن لقيت مشروعك بعد هذا البحث، وعثرت على فكرتك الحية؛ فلا أقل من أن تبلغني لأفرح مثلك؛ فعثورك على مشروعك هو في ذات الوقت عثوري أنا على ذات المشروع!.

فأهلاً بك يا صاحبي في عالم الكبار، أهلاً بك ضمن صُنّاع النجاح في الواقع، أهلاً بك وبفكرتك الحية وبمشروعك الكبير، فما أسعد أمتك بك هذه اللحظة! وما أبهج مستقبلها بأمثالك!.

وإذا لم يكن عون من الله للفتى... فأول ما يجني عليه اجتهاده.

رسالـة

لا تقـف على حافـة الطريق تتسـوّل المارة مَقْعَـداً للركوب، بل تقـدّم إلى وسـطه لتختار مكانك الذي تريد.

* * *



تعدُّد المشاريع

إن وجود المشروع في حياة أي إنسان هو أعظم الأدلة التي نرى من خلالها قدرة ذلك الإنسان على المشاركة في عالم الكبار، والقدرة على تحويل المثال إلى واقع.

ولن تجد إنساناً يعيش مشروعه، ويجهد في بنائه، ويسعى في تحقيق غاياته إلا أدركتَ أنك أمام كبير.

إن فكرة المشروع في أساسها فكرة لا تقوم جذلة قوية متينة إلا في حياة إنسان متين في الإرادة والقدرة والمبادرة وروح المسؤولية بالدرجة التي مكَّنته من خوض الواقع بقوة، وسلَّطته على استثمار لحظات حياته بأمتن ما يكون.

فإذا كان المشروع على عظمة ذكره وأثر واقعه وكثرة متطلباته لم يكن مقنعاً لإنسان أن يكون هو الوحيد في حياته، وتطلّع بشوق إلى مشروع آخر أو مشاريع أخرى يسدُّ بها طاقاته، ويستثمر بها لحظاته، ويكتب بها تاريخه كونه أكبر من حجم المشروع الواحد؛ فإن الأمة تُبارك له هذه التطلعات، وتدعوه أن

يوسّع مساحة أثره، ويكتب حظ أمته بأكثر من مشروع، على أن يفقه أن تلك الأمنية معلَّقة بشرطين:

• **الأول: أن تكون قدراتــه وطاقاته وإمكاناته قابلة لذلك، وتحتمل أكثر من مشروع:**

فإذا كان يملك هــذه الطاقات، ولديه المســاحة الكافية لتحقيق مساحة أوسع، ويمكنه أن يمد في أثر واقعه وأمته إلى الأفضل؛ فــإن التحجير عليه وحصره في مشــروع واحد هدر لهذه الجهــود، وتضييع لهذه القدرات، وتفويت مصالح ذاتية وجماعية.

• **الثاني: أن لا يؤثّر كل مشروع على الآخر:**

فإذا تمكن إنســان من كل مشــروع بالقدر الكافي لإقامته، فلا مانــع أن يحلِّق بجهده وعزيمتــه في بناء مشروع آخر؛ بشــرط ألا تكون هذه المشاريع فيما بعد مجرد مسميات تتقاسم وقته، وتُخاصم توجهه، وتنازع وحدته؛ فلا يستوثق منها مشروعاً واحداً، فلا هو الذي أقام مشــروعاً وكياناً ومثالاً صالحاً للاقتــداء، ولا هو الذي تفرّغ لمشــروع واحــد يأتي منه علــى كل تلك الآمال.

وثمة أمثلة كانت صالحة لحمل مشـاريع متعددة، وتمكنت من توسيع أثرها، وعانقت أماني أمتها وجاوزت تحديات واقعها، من هذه الأمثلة:

ـ **عبد الله بن المبارك** رحمه الله تعالى؛ كان مشروعاً في العلم، والجهاد، والصدقة، والعبادة، قال الذهبي: واجتمع جماعة من أهل الفضل يعدون خصاله رحمه الله تعالى فقالوا: العلم، والفقه، والأدب، والنحو، واللغة، والفصاحة، والشعر، وقيام الليل، والعبادة، والحج، والغزو، والشجاعة، والفروسية، والقوة، وترك الكلام فيما لا يعنيه، والإنصاف، وقلة الخلاف على أصحابه. اهـ.

ولذلك قال سفيان رحمه الله تعالى: إني لأشتهي من عمري كله أن أكون سنة مثل ابن المبارك؛ فما أقدر ولا ثلاثة أيام. اهـ.

ـ ومثله شيخ الإسلام **ابن تيمية** رحمه الله تعالى؛ فقد كان مثالاً مثيراً على تنوُّع المشاريع الكبرى، فقد كان عالماً، وعابداً، وزاهداً، ومجاهداً، وآمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر، وراداً على أعداء الدين، وكان في كل هذه المشاريع مثالاً حيّاً للاقتداء.

ـ ومثلـه العَلَم **ابن بـاز** رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فقد كان مشـاريع ضخمة، فقـد كان عالمـاً بالحديـث، ومفتيـاً للعامة والخاصة، وعابداً متميزاً، وقائماً بحوائج الناس، وعلى مدار تسعين عاماً لم يتوقف له مشروع.

فإذا كنـت مثل هؤلاء، وتشـعر أن لديـك طاقات ومواهب متعـددة، وقـدرات فائقة؛ فـإن حصرك في مشـروع واحد إماتـةٌ لهذه القـدرات، وتحجيـرٌ لهذه القوى، وتعطيل لمسـاحات مبهجة من العمل؛ فلك أن تبدأ رحلة المشـاريع التي تحبها ولو كانـت متعددة، ولعلك تأتي من خلالها إلى آمالك، وأماني أمتك.

* * *

تغيير المشروع

الأصل أن مشـــروع الإنسان هو ما اســتولى على فكره وعقله من البداية، وحَلَّ حبُّــه بقلبه، ووجد لذته واستمتع بدقائقه كل لحظة، هذا هو الأصل في مشروع العمــر، وإذا كان كذلك وجد له صاحبــه لذة في قلبه، ولقي له هتافاً كبيراً في مشـــاعره، واستحوذ على وقته واســتفرغ فيه كل إمكاناته، وبحث عن أفضل الأوقات التي يتم بها مشــروعه، ويتوسّــع المشــروع وتتوسّع اللذات في قلبه.

فإن بدأ في مشروعه، وقضى فيه وقتاً طويلاً، ولم يجد فيــه تلــك المتع التــي يتحدَّث عنهــا أصحاب المشاريع، وصار يجاهد نفســه على فكرة عصية على التطبيق، ولم يجد لها رواءً في حياته، ويشــعر بخصام نكد بيــن ميوله ومواهبه ومشــروعه الــذي يخوضه، وتأكد أن ثمة خطأ حدث في الاختيار الأول، وقدراته عاجزة عن استيعاب المشروع، ولم يكن قرار الانتقال تقليداً لآخرين، أو اســتعجالاً للنتائــج؛ فله حينئذ أن يترك مشــروعه وينفصل عنه، ويبدأ رحلة البحث عن مشــروع جديد يتوافق مع ميوله، ويتناسب مع قدراته

وإمكاناته، بشـــرط أن تجري تلك المعاني التي ذكرت فيما ســـبق بشـــأن اختيار المشـــروع كاملة، ويتحرَّى الإنســـان فيها قدر وســـعه حتى لا يصبح شتاتاً وحقل تجارب وتضيع حياته في التردد، وتهدر أوقاته وهو لم يصل بعد إلى فكرته ومشروعه.

إن الخطأ وارد، وكم من خســـارة بنتها العجلة، أو عدم الدقة في الاختيار، أو مشـــورة لا معرفة لها بواقعنا الشخصي، فكوَّنت هذا الواقع، فتكون المكابرة حينئذ على ذات المشروع خسارة إضافية.

وكم من إنسان اختار مشـــروعه وسعى إليه بكل ما يملك، وبذل لنجاحه كل الوسائل الممكنة، ثم قرر في النهاية تركه والبحث عن مشروع يمثِّل عمقاً في حياته، وبدأ رحلته الجديدة وهو يشعر باستمتاع ورضا، ويجد لذة وســـروراً، ويرى أن قرار التغيير كان حلّاً لمشكلته، وسبباً مثيراً في نجاحه. وهذا كله كما قلتُ لك بعد بذل الأسباب، واتخاذ كافة الحلول المواتية لنجاح المشروع الأول، وعدم الاستسلام لعقبات الطريق.

إن علينا أن نستميت في مشـــاريعنا التي جهدنا في اختيارها أولاً، وتعبنـــا عليها، وألا نستســـلم لعوارض الطريق مهما بلغت، وأن ندرك أن أفكارنا التي آمنا بها

تحتاج ولاءً كبيراً يمكّننا من الفـــرح بها، والدفاع عنها حتى تصلب وتكون واقعاً. ما لم نتأكد أن بداية الطريق غير صحيحة، وثمة خطأ بيّن فـــي القرار الأول؛ فالأمر واســـع، والفرص متاحة، والإرادة تقرّب البعيد، وتبني من حلم وأمنية واقعاً مثيراً مع مرور الأيام.

* * *

المشاريع الفردية والجماعية

بعـــد كل هذا الطرح لعلك تســـأل: هل مشـــروع الإنســـان لا بد أن يكون مشـــروعاً فرديّـــاً؛ هو الذي يقيمه، ويتولّاه بالسقيا والمتابعة، وهو صاحبه في كل لحظاته! أو يمكن أن يكون مشـــروعاً جماعيّاً ضمن فريـــق، كأن يكون شـــريكاً في مشـــروع جمعيات أو مؤسسات تربوية أو اجتماعية أو دعوية، أو علمية أو تقنية، ونحو ذلك؟.

فيقال: قد يكون مشـــروع الإنسان مشروعاً فرديّاً هو الذي يضع أهدافه ويقوم علـــى رعايته، ويتولاه في كل لحظاته، حتـــى يقوم ويثمـــر، ويقوى عـــوده، ويكتمل بناؤه، وحينئذ يكون الإنســـان قد أقام مشـــروعاً كبيراً، وقدّم لأمتـــه ما تتمنّـــاه منه مـــن خلال تلـــك الجهود المتكاملة التي كوّنت لبنة المشـــروع في البداية، ورعته حتى أثمر ووصل إلى النهاية.

وقد يكون مشروع الإنسان مشروعاً جماعيّاً كالعمل في مؤسســـة تربوية أو علميـــة أو اجتماعيـــة، أو تقنية يديرها أفراد؛ على أن يجري في هذا المشروع الصفات

التي ذكرت في مواصفات المشـــروع والتي من أهمها: أن تكون محبّاً لمشـــروعك شـــغوفاً به، وأن يتوافق مع قدراتك وإمكاناتك.

فإذا كان العمل الذي تديره في مؤسســـة تشـــعر بأهميته، وقوته، وأثره في رســـالة المؤسســـة، بحيث يُعد دخولك وخروجك مؤثراً في أداء هذه المؤسسة، ويســـتهويك هذا العمـــل فتجد له مســـاحة في قلبك ومشاعرك، وتســـايرك اللذة في أوقات العمل وتسيطر عليك، وتشعر أنك جزء لا يتجزأ من منظومة العمل، ويستفرغ طاقاتك كلها أو جلها، وتشعر المؤسسة في النهاية أنها تقوم بك عضواً مؤثراً صاحب مشروع كما تقوم بالرئيس المســـؤول الأكبر في المشروع؛ فأنت تقوم بمشـــروع ولو كنت منضوياً في مجموعة يساعد بعضكم بعضاً فـــي اكتمال المشـــروع وقيامه بأدواره التي أنشئ من أجلها.

بل إن حاجة الأمة كبيرة جدّاً للمشاريع الجماعية، ولا يتصـــور أن تـــؤدي رســـالتها، وتقـــوم بفروضها الكفائية إلا من خلال هذه المؤسسات.

وأمم الأرض اليوم تعيش عصر التكتلات في كل شـــيء، وتســـتعين علـــى بلـــوغ غاياتها مـــن خلال الاجتماع.

ومن وعى هذه المسؤوليات وأدرك خطورة دوره وأثره؛ شـــارك في بنـــاء هذه المؤسســـات من خلال مشـــروع، وبذل له من جهده وطاقته ووقته ما يكون كفيـــلاً بنجاحهـــا وتحقيقهـــا لأهدافها التـــي جاءت لتحقيقها.

* * *

طلب المعالي

أعَاذِلتـــي علـــى إتعابِ نَفْســـي
ورَعْيِي في الدُّجى رَوْضَ السُّهَادِ

إذا شـــامَ الفتَـــى بـــرقَ المَعَالي
فأهـــونُ فائـــتٍ طِيْـــبُ الرُّقَـــادَ





كيف تبدأ مشروعك؟

مبارك! لعلك وصلت إلى حلمك وأمنيتك الكبرى وفكرتـك الحية ومشـروعك فـي الحياة! يـا لها من لحظات ممتعة تلك التي يجد فيها الإنسان ضالته التي يبحث عنها بعد طول زمان.

بتحديدك لمشروعك قطعت ثلثي مسافة الطريق، ولم يبق عليك سـوى الثلث الأخير، ولعلك تسأل الآن: كيف أبدأ؟ ومن أين؟ وماذا أفعل في بدايـة الطريق؟ وما أول خطوة في المشروع؟ وكيف يصبح مشروعي واقعاً؟..

ولعلي أعينك هنا ببعض وسائل الطريق التي تعينك على الوصول:

• أولاً: **التخطيـط لمشـروعك أول الخطوات** التي تضمن لك بعد توفيـق الله تعالى أن يكون مشـروعك واقعاً عمليّاً بعد أن كان معرفة نظرية..

ويكـون التخطيط فاعـلاً ومؤثِّراً حيـن ينطلق من المرتكزات التالية:

١ ـ حدد رؤيتك:

ضع الصـورة النهائية لمشـروعك.. مـاذا تريد أن

تكون في النهاية؟ ما الغاية الكبرى من مشـــروعك؟ ما نقطة النهاية التي ترسمها لمشروعك؟.

خذ ورقة أو افتح حاســوبك الشخصي واكتب هذه العبارة:

ـ بعد عشر سنوات من الآن ستكون نتائج مشروعي كما يلي:

....

....

....

....

....

....

أعد قراءة هذه النهاية، تأملها، كـــرر قراءتها، قلِّبها في مشاعرك مرات، حاول أن تمنحها فكرك ووقتك، قد تحتاج منك إلى تعديل أو تغيير أو اختصار أو تفصيل، افعل فيها ما تشـــاء.. المهم في النهاية أن ترسم الصورة النهائية لمشـــروعك، وأحلامك لعشر سنوات قادمة من بداية المشروع.

إذا وصلت إلى تصـــوّر الرؤية النهائيـــة فاكتبها ثم

احفظها في حاسوبك الشخصي، أو في مكتبك، ضعها قريبة منك، تســتطيع أن تراها حتى تضمن السير على ذات الطريق.

٢ ـ حــدد وضعك الحالــي الذي وصلــت إليه في مشروعك:

أين أنت هــذه اللحظة مــن ذات المشــروع؟ من الضرورة أن تعرف الآن هل أنت في بداية المشروع؟ أو قد بــدأت فــي خطواته الأولــى؟ معرفة نقطــة البداية ضرورية حتــى تعرف كم تحتاج من خطــوات للنهاية! ومن أين ستبدأ! ومتى ستصل!.

أنت بحاجة في هذه النقطة أن تسأل نفسك: كم يحتاج منك مشروعك من الوقت؟ كم مقدار الوقت اليومي الذي يقوم به المشروع؟ هل البيئة التي أنت فيها مناسبة لنجاح المشروع، أو لا بد من الانتقال إلى بيئة أخرى؟ أو يمكن التغلب على ظروف البيئة من خلال وسائل أخرى؟.

إن تحديــد وضعك الحالي بالــغ الأهمية في نجاح مشروعك في المســتقبل، وحين تخطئ تحديد وضعك، أو لا ترســمه بدقــة، أو لا تعطيه عناية كبيــرة قد يختل تخطيطك كله، ويضيع مشروعك في النهاية دون جدوى.

٣ ـ ارسم أهدافك بدقة:

إن أهم ما في عملية التخطيط أن ترسم أهداف المشروع بشكل واضح بحيث يتحرك المشروع كل يوم، من خلال منهج واضح، وزمن محدد، وإلا صار المشروع فارغاً من حقيقته كمشروع.

سبق فيما مضى أنك وضعت رؤيتك النهائية لمشروعك، وأين ستصل فيه! وماذا تريد أن تكون بعد عشر سنوات قادمة من عمرك! فلا يلتبس عليك الأمر وتمتزج عليك الرؤية بالأهداف، لأن الرؤية شيء عام ترسم نهايتك الكبرى لمشروعك، والأهداف هي الخطوات التي توصلك لعناق تلك الرؤية.. وهذه مسألة دقيقة ينبغي ألا تفوتك، لأن كثيراً من أصحاب المشاريع يخلطون بين الرؤية والأهداف فيرونها شيئاً واحداً، وهي تختلف؛ فالثانية وسيلة للأولى.

اكتب أهدافك التي تحقق لك رؤيتك، بحيث ترسم أهداف العام كاملة، ثم تجزئها على أهداف شهرية، وأسبوعية، ويومية؛ على أن تكون الأهداف في نهايتها تمثّل الرؤية العامة التي تطمح إليها، ويكتمل بها المشروع في حياتك.

• **ثانياً**: يمكنك **الاستفادة** في تحقيق مشروعك من خلال أصحاب التجارب والمشاريع السابقة، ومن خلال الدورات التدريبية في التخطيط، وإدارة الوقت، وهي برامج ممكنة وكثيرة، ويمكن لصاحب المشروع أن يبدأ من خلال خطوات بسيطة يصل منها في النهاية إلى مشروعه.

وثمة **قضايا مهمة في التخطيط** يجب أن يتنبه لها صاحب المشروع:

١ ـ يحتاج صاحب المشروع أن يصرف من وقته لصالح المشروع حتى يكتمل ويصلب عوده من ثلاث إلى خمس ساعات يوميّاً، تزيد لا تنقص، وتستثمر وفق أهداف مُجَدْوَلة مستقاة من أهداف كل أسبوع.

٢ ـ يحتاج صاحب المشروع إلى حادٍ كل يوم يؤجج همته، ويدفع بقواه، ويحميه من اليأس والإحباط وعقبات الطريق؛ ككتب النجاح، والتنمية الشخصية، والأشرطة السمعية، وصحبة الناجحين، وكل ما يعين على بلوغ النهايات.

٣ ـ ذكّر نفسك كل يوم أنك تقطع جزءاً مثيراً في سبيل مشروعك الكبير وغاياتك العظمى، وتقرّب مسافات أحلامك مع الأيام.

٤ ـ صفّق لنفسـك خاصة في البدايـات، وكلما قطعت شوطاً، أو أنهيت مسافة، وقرب حلمك فكافئ نفسـك برحلة، أو راحـة، أو متعـة؛ فالنفوس كما يحدوها العمل تشتاق إلى رؤية مباهج الفوز.

إن الجماهيـر لا تجتمع مشـجعة مباركة إلا بعد براهين كثيرة يكتبها واقعك تثبت أنك أهل لتصفيقها في النهايات.

اقرأ كتابي (**قصة حلم**) التخطيط الشخصي وإدارة الأولويات؛ يمكنك من التخطيط لمشـروعك وإدارة أولوياتك، ويعانق بك النهايات التي تحلم بها.

* * *

كيف ينجح مشروعك؟ ١

لقد تعرَّفْـتَ خلال الوقت الذي قضيتـه في قراءة هذا الكتاب على مشروعك، ونبارك لك أفراحك هذه اللحظات بأن وجـدتَ حلمك وأملـك الذي تبحث عنـه من زمن، ونذكِّرك بـأن هذه اللحظـات من أثمن لحظـات حياتك، وأجمل دقائق عمرك كلها، وإذا وجد الإنسان فكرة تستعمره ومشروعاً يحقق له أحلامه فقد تحقق له ما يريد.

وبما أنك وصلت لهـذه الحقيقـة، وتعرفت على مشـروعك العمري في الحياة، وعرفـت من أين تبدأ؟ ومتى؟ وكيف؟ فلم يبق عليك إلا أن تتعرف على إجابة هذا السؤال الكبير: كيف ينجح مشروعك؟.

إن أي مشروع في الحياة يريد له صاحبه إشراقاً في الفضاء، ومسـاحة عريضة على الأرض، وقوة وهج في الحياة؛ لا بدَّ أن يصنع له من أسباب النجاح ما يصل به إلى النهايات.

والأسباب المفضية إلى نجاح المشاريع كثيرة نأتي على بعضهـا في هذه المسـاحة، من أهمهـا وأعظمها وأكثرها أثراً في نجاح المشروع:

• تصحيح النية:

إن من أعظم الطرق التي تسلك بالإنسان إلى أفراحه ونهاية مشروعه وتحقيق غاياته صلاح النية، وقد قال ﷺ: «**إنَّما الأعمال بالنيات، وإنَّما لكلِّ امرئ ما نوى**».

فمن صلحت له نيته صلح له كل شيء، ومن ساءت نيته ضاع عليه كل شيء.

وكم من عمل صغير عظّمته النية! وكم من عمل كبير حقّرته النية، والله المستعان!.

إن الأوقات المستقطعة في المشاريع كثيرة، فإذا ما صحبتها النية الصالحة كانت أرباحاً مثيرة في حياة صاحبها، وإذا ما فاتت منها فات منها كل شيء! وكم من لاهث دون غاية! وكم من محروم وهو في ساحات الخير! وقد شَكَا الكبار تقلّب نياتهم، وسألوا الله تعالى جادين.

ففي **غزوة تبوك** شارك رجال في الغزوة، ونالوا ما فيها من أجر؛ وهم لم يبرحوا المدينة قدر شبر، وإنما نالوا بر النيات، وثوابها، حَبَسَهم العذر.

ومن أحب منازل الكبار جهد في تصحيح نيته، وسأل الله عز وجل أن يجنبه محبطات الأعمال.

• عيش المشروع:

إذا أراد صاحب المشروع النجاح لمشروعه فلا بدَّ أن يعيشه كل لحظة من حياته، وإلا صار مشروعاً بارداً فاتراً لا قيمة لـــه، ولا أثر فيه! العيش للمشـــروع بأن تهب له وقتك وفكرك ومشاعرك، وتكون مستعدّاً لكل شـــيء من أجله، وما يزال بك مشروعك حتى تستدين من أجله وترى ذلك أبســـط ما تدفعه فيه وأرخص ما يكون له.

نجاحك في مشـــروعك موقوف على خفقان قلبك له، وطرب أذنك به، وشـــوق مشـــاعرك إليـــه، وهتاف روحك بأحاديثـــه وذكرياته، حتى يصيـــر بضعة منك، ويجري في مشاعرك كما يجري الدم في جسد إنسان.

ـ إذا عاش الإنســـان مشـــروعه دفع له كل شـــيء، واســـتلذ فيه كل متاعب الطريق، ولا أدل على ذلك من موقـــف الفقيـــه المالكي المحـــدث الإمـــام **محمد بن سحنون** القيرواني، فقد قال القاضي عياض في (ترتيب المدارك): كانت لمحمد بن ســـحنون سُرّيّة يقال لها: أم مدام، فكان عندها يوماً، وقد شغل في تأليف كتاب إلى الليل، فحضر الطعام، فاســـتأذنته ليـــأكل، فقال لها: أنا مشغول الســـاعة، فلما طال عليها جعلت تلقّمه الطعام

حتى أتت عليه، وتمــادى على ما هو فيــه إلى أن أذّن لصلاة الصبح، فقال: شُغِلْنا عنك الليلة يا أم مدام، هات ما عندك، فقالت: قد ـ والله يا سيدي ـ ألقمته لك، فقال لها: ما شعرت بذلك.

ـ وهو الحقيقة ذاتها التي عبّر عنها **الزمخشــري** في بعض أبيات بقوله:

سَـهَري لتنقيـحِ العلـومِ ألـذُّ لي
مِـنْ وَصْـلِ غانيـةٍ وطِيْـبِ عِناقِ
وتمايُلـي طربـاً لحـلِّ عَويصَـةٍ
أشْـهى وأحْلى مـن مُدامةِ سـاقي
وصريـرُ أقلامـي علـى أوراقِهـا
أحلـى مـن الـدوكاه والعُشّـاقِ
وألـذُّ مِـنْ نَقْـرِ الفتـاةِ لِدُفِّهـا
نقـري لألْقِـي الرملَ عـن أوراقي
يـا مَـنْ يُحـاولُ بالأمانـي رتبتي
كـم بيـن مُسْـتَفِلٍ وآخـرَ راقـي
أأبيـتُ سـهرانَ الدُّجَـى وتبيتُـه
نومـاً وتبغـي بعـد ذاك لحاقـي

ـ وقد تمنى **عبد الله بن بشر الطالقاني** تلك الأمنية التي تعبّر عن هذه اللحظات في حياة أصحاب المشاريع

بقوله: أرجــو أن يأتيني أمري والمحبــرة بين يدي ولم يفارقني العلم والمحبرة.

ـ وتحدث **ابن الجوزي** رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى عن هذا المعنى قائلاً: ولقد كنت في حلاوة طلبي للعلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلــى من العســل لأجل ما كنــت أطلب وأرجو.. كنت في زمن الصبا آخذ معي أرغفة يابســة، فأخرج فــي طلب الحديــث، وأقعد على نهر عيســى ببغداد، فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء، فكلما أكلت لقمة شربت عليها، وعين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلــم.. وكنت أدور على المشــايخ لســماع الحديث فينقطع نفسي من العَدْو لئلا أسبق، وكنت أصبح وليس لي مــأكل! وأمســي وليس لــي مأكل! ولو شــرحت أحوالي لطال الشرح.

ـ وقال البزَّار في وصف شــيخه شــيخ الإسلام **ابن تيميــة** رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وكان العلم كأنه قــد اختلــط بلحمه ودمه وسائره، فإنه لم يكن له مستعاراً، بل كان له شعاراً ودثاراً.

ـ وقال المزني: قيل **للشافعي**: كيف شهوتك للعلم؟ قال: أسمع بالحرف مما لم أسمعه فتود أعضائي أن لها أسماعاً تتنعّم به مثل ما تنعّمت الأذنان. قيل له: وكيف حرصك عليه؟ قال: حرص الجَمُــوع المَنُوع على بلوغ

لذته في المـال. وقيل له: كيف طلبـك له؟ قال: طلب المرأة المضلة ولدها وليس لها غيره.

ـ وخير ما يُعبّر عن هذا الشـوق للمشاريع ما قاله **أبـو الريحان البيرونـي** حين دُخل عليـه وهو في آخر لحظات حياته، فقال للداخل: كيف تقول في حسـاب الجدات الفاسدات؟ فقال له: حتى في هذه اللحظات؟ قال له: يا هذا أودّع الدنيا وأنا عالم بهذه المسـألة خير لي من أن أرحل وأنا جاهل بها.

ـ ومثل ذلك ما دوَّنه **سليمان الراجحي** في رحلته مع مشـروعه؛ فقـد كتب في سـبيل تحقيقـه أروع لحظـات المعانـاة، وتحمل في سـبيل ذلـك ما لا يتصوّره إلا أصحاب المشـاريع، كان مقـدار وجبته اليومية ريـال، ومع ذلك ظل يختصرهـا إلى نصف ريـال ويعيد النصف الآخـر لصاحب العمـل رعاية لحقه، وتدريباً للنفس على الأمانـة، ورعاية لحقوق الآخرين، ومـرت به لحظات لا يفطـر، ولا يتغدى، وإذا جاء وقت العشـاء وقف عند الخبـاز طويلاً من أجل أن يقل ثمن شـراء الخبز، وعاش مرارة الجوع والفقر والذلـة في مواقـف كثيـرة كان ثمارها هذا التاريخ الذي بناه لنفسه ووطنه وأمته.

ـ وقال **المسيري** وهو يتحدث عن عيشه لمشروعه: إنه قرر الاستقالة من الجامعة لإتمام مشروعه برغم أن أسرته ستصبح دون دخل ثابت، وبعد حرب الخليج حينما أصبح من حقي العودة لوظيفتي (باعتبار أنني كنت أعمل في الخليج) وجدت أنه لا بد من الاستمرار في التفرّغ لأنهي الموسوعة (وأسمي هذا ضرباً من الجنون المقدّس الذي أصابني وأصاب زوجتي؛ لولاه ما انتهيت من الموسوعة).

وقال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وقد نجحت إلى حد كبير في توظيف المال بدل أن يوظفني؛ فلم أضطر قط إلى أن أقوم بعمل يتناقض مع مشروعي الفكري أو يعوقه، ولم أعمل إلا في وظائف أقوم بتوظيفها لخدمته.. ولم أشغل أي منصب إداري من أي نوع طيلة حياتي، حتى عملي مستشاراً ثقافيّاً للوفد الدائم لجامعة الدول العربية لدى هيئة الأمم المتحدة في نيويورك أصبحت مجرد إطار لتحقيق مشروعي المعرفي، وحينما عُرض عليّ أن أعمل في هيئة الأمم المتحدة براتب ضخم آثرت البقاء في وظيفتي والتضحية بالراتب الضخم؛ لأن الوظيفة الجديدة كانت تستوعب كل وقتي، كما أنها تتعارض كليّاً مع مشروعي الفكري. اهـ.

* * *

كيف ينجح مشروعك؟ ٢

لا زلت أؤكّد عليك أن نجاحك في مشروعك مرهون بالأســباب التي تبذلها في ســبيل تحقيقه قدراً وكيفية، فَكُلَّما ارتفعت قيمة هذه الأسباب في ذهنك، وبذلت لها من ثمين عمرك؛ كلما اقتربت من النجاح، وقاربت بلوغ الطريق، وهذه قضية لا تفوت على أمثالك، ومن ذلك:

• حسن الصلة بالله تعالى:

وهو من أعظم الأســباب أثراً في دفع المشــاريع، ومن حســنتْ ســيرته مــع ربه اســتقام له مشــروعه، وتماســكت عراه، وتمكن من الحيــاة.. وكم من فارط بعد تمام، والله المستعان!.

إذا لم يكن عــون من الله للفتى... فــأول ما يجني عليه اجتهاده.

وإذا أردت أن تعرف قدر هذا المعنى فانظر سورة المزمّل، وتأمل صدرها لترى الحقائق كيف تصنع في المشــاريع!: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ١ ـ ٤].

أراد الله تعالــى أن يصنــع الأرض التــي تســتقبل الوحي، ويقوي الجسد الذي يســتقبل الرسالة، ويحيي القلب الذي يحمل المشروع.. فاستقبل النبي ﷺ القبلة وهو قائم يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء، وظل واقفاً حتى تفطرت قدماه ﷺ، ولمَّا اســتوى قلبه، وصلب عوده، وتهيأ لنزول الوحي؛ نــزل عليه بأثقاله حتى كاد يــرضُّ فخذه، فقام به فــي العالمين، وما زال رافعاً راية مشروعه حتى عانق مباهج النهايات فيه.

وكذلــك الكبــار أدركــوا أثــر هــذا الجانب في مشــاريعهم، فما زالوا عاكفين على الوصية حتى تحقق لهم من الحياة ما يشاؤون.

ولا يمكن أن تأتــي على مباهج مشــروع كبير إلا وتجد أنفــاس هذا المعنــى أعطر ما تكــون، وكل من توسع في هذا المعنى توسّــع له التاريخ، وفسح له في الذكر، وأفاض عليه من الثناء.

• التربية على المعالي:

نجاح المشاريع مرهون بقدرة أصحابها على تربية أنفســهم على المعالــي، والنهوض بها إلــى غاياتها الكبار.

من أراد أن يوسّع أثر مشـــروعه، ويكتب حظه من التأثير فعليه أن يقتاد نفســـه لحياض المـــكارم، ويزمها بلجام العمل والبناء والتحديات.

إن النفوس تكلُّ وتملُّ وتتعـــب، وتضجر من طول الطريق، وما لم تكن قادرة على فرض قوة تأهيلية على ذواتها فقد تقعد في منتصف الطريـــق ولو كان النجاح منها رأي عين!.

• القراءة في سِيَر الناجحين:

إن من المهم أن نكون قادرين على إلهاب نفوســـنا بالحماس، وإشباعها بالتشجيع، ودفعها للمقدمة بأخبار الكبار، من خلال قراءة سير الناجحين، وصُنّاع الحياة، وأيّاً كان مشروع الإنســـان فهو بحاجة إلى القراءة حتى يقوى ويُثمر ويزهر ربيعاً أخضر في واقع الأرض!.

ما أحوج نفوسنا إلى ســـماع أخبار الكبار، والتلذذ برحلتهم، والشـــوق إلى صنائعهم فـــي التاريخ؛ فإذا ما حرص صاحب المشـــروع على ســـماع كل حـــادٍ يرفع همته، ويدفع قوته، ويلهب حماســـه؛ قـــام في الهجير يكتب حظ مشـــروعه من الواقع، ويبني مســـتقبل أيامه بالأمل.

• حضور الدورات التدريبية:

ثمة دورت تخلق حافزاً مثيراً في النفوس، وتجلب على جسـد إنسـان بِخَيْلِ الأمَل ورَجِلِهِ، فإذا ما حرص صاحب المشروع على جمع الجيد منها، وخصص وقتاً لسماعها، ودوَّن النافع منها؛ دفعت به إلى مساحات من الأمل، ومكنته من المواصلة في بناء مشـروعه؛ خاصة تلك التـي تُعنى بالتحفيـز، وتعمل في بنـاء الأفكار، وتُلهب كوامـن النفوس.. فإذا ما أضـاف إليها ما يُعنى بالمهارات، وإدارة الأوقات، وبناء الأولويات؛ تم بناؤه، ووصل إلى مراده من أقرب طريق.

• لقاء الناجحين:

لقاء ناجح واحد في الواقع كافٍ للدفع بمشروعك مسافات طويلة نحو بلوغ النهايات.

إن الذي يتحدّث من تجربة واقعية يمنحك شعوراً بقرب مسافة النجاح، ويصوّر لك أن عقبات الطريق حكاية لا رصيد لها في الواقع، ويثير فيك فألاً عريضاً بتحقيق مشروعك.

فعلينا أن نتعـرّف على صناع النجـاح، ولو ضربنا إليهم مسافات سـفر، فالحكاية الواقعية تفرق كثيراً عن حكايات الذكريات!.

• استثمار الوقت:

فضيلة الوقــت هي التــي مكَّنــت الناجحين من تيجان الفضيلة!.

أعظم الموارد في حياة إنســان وقته وزمانه، ولن يجد صاحب المشروع مورداً لنماء مشروعه وقوته مثل الوقت.

وقد كان السلف يشحُّون بأوقاتهم كما يشحُّ أحدنا بديناره ودرهمه! ومــن أدرك هذا المعنــى رتّب وقته وحدد أولوياته، واســتثمر لحظات زمانه، وهو موعود بعد ذلك بتمام أمانيه واكتمال مباهجه.

قال عبد الوهاب المســيري رحمه الله تعالى وهــو يتكلم عن عنايته بمشروعه وأنه لم يتوقف عنه حتى في الأحداث الكبــار: ومن أهــم الأحــداث المرتبطة بالموســوعة (موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية): ما حدث في أثناء الاجتيــاح العراقي للكويت؛ إذ اكتشــفتُ أن كلَّ مراجعي وأوراقي ونسخة الموسوعة الوحيدة هناك في الكويت، ولم يكن من الممكــن أن أبقى في القاهرة بعيداً عن كلِّ هذا غير عارف بما يمكن أن يحدث لهذا الاســتثمار الفكري، فقررت أن أذهب للكويت، وقد

مكثت في الكويت أثناء الاجتياح زهاء ثلاثة أسابيع لم أتوقَّفْ أثناءها عن العمل، ثم اتفقت مع مجموعة من الأصدقاء على استئجار «تريلا» (عربة نقل ضخمة وضعت فيها كل صناديق الأوراق التي تخصني، وركب أصدقائي سياراتهم، ونسيت سيارتي من فرط فرحتي بالأوراق. اهـ.

إن صاحب المشروع لن يبلغ هدفه، ويصل لنهاية مشروعه؛ ما لم يكن أشح بوقته من شحه بماله، وستظل حياة صاحب المشروع مرهونة باستثماره لوقته، والعناية به، ومحاولة بناء أوقات له من الأوقات الضائعة والمهدرة في حياة كثير من الناس.

* * *

كيف ينجح مشروعك؟ ٣

من الأسباب المهمة لبلوغ المشروع، والوصول إلى نهاياته، والتلذذ به، وعناقه في قادم الأيام:

• الصبر على طول الطريق:

صاحب المشـــروع يجب أن يدرك أن ثمة مســـافة طويلة جدّاً قبل الاحتفاء بمشـــروعه، ومن لم يدرك بعد شقة الطريق ومسافته فلن يصنع جديداً في واقعه.

من الضروري أن يتحلَّى صاحب المشروع بالصبر، وأن يعلم علم اليقيـــن أنه لا وصول له إلـــى غاياته إلا على جسر من الآلام والمشاق.

قد يستغرق مشـــروعك عشر ســـنوات وأكثر، وقد يســـتغرق من غيرك خمســـين عاماً قبل أن يعيش إيناع ثماره، وقد يســـتغرق من ثالث عمـــره كله، ويرحل من الأرض وهو يشعر أن مشروعه ما زال بحاجة إلى رواء.

وليـــس أدل على ذلك من مشـــاريع الرســـل عليهم صلوات الله تعالى وسلامه أجمعين، فقد عاش نوح ألف

سـنة إلا خمسـين عاماً وهو يجهد بغيـة النهايات التي يتمناها صاحب مشـروع، ومثله **أولو العزم من الرسـل**، حتى قال نبينا ﷺ: «**يأتي النبـي يوم القيامة ومعه الرجل، ويأتي النبي ومعه الرجلان، ويأتي النبي وليس معه أحد**».

وقد تكون مدة انقضاء المشروع وعناق نهايته أقصر من ذلك بكثيـر، وليس مُهمّاً عند أصحاب المشـاريع متـى ينتهون من مشـاريعهم؟ المهم أن تكـون نياتهم خالصة لله تعالى، ويبذلون لها كافة الأسـباب المواتية لنجاحها، ويتشـوَّفون إلى لحظـات نهايتها، ويركضون إليها ركض الجادين.

• من الأسباب: الثقة بالله تعالى:

والتـوكل عليـه، والتوجـه إليه بقلبـك وروحك وأنفاسـك كلها، والتطلّع إلى توفيقه وسـداده في كل طريق، ولحظة، وجهد وعمل.

• ومن الأسباب: الدعاء:

فإنه باب فرج، ومفتـاح أمل، ودليل صدق الطالب في تحقيق مطلوبه من الله تعالى.

ومن أدمنــه، وألح على الله تعالى فيــه، ورفع يديه طويلاً، وقلبُه مضطرٌ إلى الله تعالى؛ فتح الله تعالى عليه، ووفقه، وأصاب ما أراد ولو تأخر زمان الإجابة.

• ومن الأسباب: التدرج في بناء المشروع:

فلا يمكن أن يصل الإنسان بمشروعه إلى النهاية التي ينتظرها ما لم يتدرج في بناء مشروعه، ويقسّمه على مراحل، ويبدأ فيه خطــوة بخطوة، فإن مثل هذا التدرج والتقسيم للمشــروع يمكّن صاحب المشروع من رؤية النجــاح، واللذة بالمراحــل المقطوعة فيه، ويتجدد نشــاطاً لبدء المرحلة الثانيــة وبلوغ نهايتها القريبة. بخلاف ما لو بدأ في المشروع حزمة واحدة، فقد يذبل فــي منتصف الطريق، وتطــول عليه أفراح النهايات.

وهذا أحد الأســباب التي ينبغي أن يــدرك آثارها صاحب المشــروع، فيبدأ فــي تصوّر مشــروعه أولاً، ويقســمه على مراحل ثانياً، ويحدد لــكل مرحلة زمناً معيناً لا يتجاوز زمنه ثالثاً.

من الأسباب الخاتمة والمؤثرة في تحقيق المشروع:

• الاحتفاء بالمشروع:

يجب أن يعلم صاحب المشروع أنه في زمن ضعفت فيه الهمم، وانشغل كثيرون بواقعهم عن هموم أمتهم ومساحات دينهم، وحالات من الإحباط تلف جموعاً من الناس، وتكتب عليهم في ذات الوقت التواني والكسل والعجز، فإذا أضيف إلى ذلك قلة المشجعين لخوض التجارب الكبرى والمحاولات الجديدة؛ كان لزاماً على صاحب المشروع أن يحتفي بنهاية كل مرحلة من المشروع، ويشجع نفسه ببعض أوقات الراحة والفسح، حتى تعود أكثر إقبالاً، وليعلم أصحاب المشاريع أنهم قد يضطرون في بداية الطريق إلى أن يصفقوا لأنفسهم حتى تأتي اللحظات التي تصفق لهم فيها الجماهير.

* * *

وفي الختام

فإن معركة الأفكار والمفاهيم هي معركة الحياة الكبرى، وعثورك على أكثر الأفكار حياة في الواقع هو عثورك على حياتك لا فرق! وكم من فكرة علقت في ذهن صاحبها فصنعت له التاريخ! ومن استقبل هذا المعنى محتفياً به؛ استقبله التاريخ محتفياً متوسِّعاً له.

وأحسب أنني بنيتُ لك فكرة مثيرة، وصنعتُ لك واقعها، وهديتك إلى جملة من الوسائل والأسباب المعينة لبلوغها، ولم يبق عليك سوى اعتناقها.. داعياً الله بأن تلقى في رحابها الأمل، وأن تأتي منها على أمانيك، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

* * *

الفهرس

* * *